الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث والعلمي

جامعة عمار ثليجي الأغواط

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

مذكـــــرة ماستـــــــــر

تقديم الطالبة: حنان الأكحل

ميدان: اللغة والأدب عربي

شعبة: دراسات أدبية

التخصص: أدب عربي حديث ومعاصر

البنية المكانية في رواية المتسامح للكاتب بلحيا الطاهر

لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الدرجة العلمي	الصفة
بن عيسى الهامل	أستاذ تعليم عالي	رئيسا
عثماني بولرباح	أستاذ تعليم عالي	مشرفا
عبد القادر معمري	أستاذ محاضر -ب-	مناقشا

السـنة الجامعية : 2022/ 2023

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث والعلمي

جامعة عمار ثليجي الأغواط

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

مذكـــــرة ماستـــــــــر

تقديم الطالبة: حنان الأكحل

ميدان: اللغة والأدب عربي

شعبة: دراسات أدبية

التخصص: أدب عربي حديث ومعاصر

البنية المكانية في رواية المتسامح للكاتب بلحيا الطاهر

لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الدرجة العلمي	الصفة
بن عيسى الهامل	أستاذ تعليم عالي	رئيسا
عثماني بولرباح	أستاذ تعليم عالي	مشرفا
عبد القادر معمري	أستاذ محاضر -ب-	مناقشا

السـنة الجامعية : 2022/ 2023

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلى أغلى إنسانة بالوجود، إلى من أحبتني بلا قيود

إلى من منحتني كل شيء بلا حدود، إلى أميرة قلبي

إلى نبع الدفء و الحنان، إلى الحبيبة

"أمي" جزاك الله خير، وأمد عمرك بالصالحات.

إلى من أحمل اسمه بكل افتخار إلى رمز الهيبة والوقار إلى من كلل العرق جبينه وشققت الأيام يديه

إلى من علمني أن الأعمال الكبيرة لا تتم إلا بالصبر والعزيمة والإصرار

إلى "أبي" العزيز أطال الله في عمره وألبسه ثوب الصحة والعافية.

إلى إخوتي:

الأخ الكبير خالد، نوح، مولود حفظهم الله ورعاهم

إلى أخواتي:

خيرة، ضاوية، تركية

إلى أعز صديقاتي:

بشرى، نوية، نصيرة، إيمان، عوالي

وإلى كل من يحمل لقب الأكحل خاصة:

نادية، أمال، نصيرة، رحاب، سعدية، علياء، زهية سمية

وإلى كل من ترك بصمة جميلة في حياتي أهدي ثمرة عملي المتواضع.

✓ **الأكحل حنان**

شكر وعرفان:

بداية أشكر الله عزّ وجل لأنه وفقني ويسر لي الطريق من خلال عملي هذا

أتقدم بجزيل الشكر إلى أستاذي الدكتور "عثماني بولرباح"

الذي قبل أن يشرف على عملي هذا.

وكان خير موجه بنصائحه وانتقاداته البناءة فكان خير عونا لي في مسيرتي.

أدامه الله عونا للدارسين والباحثين

ولا أنسى أن أتقدم بالشكر إلى:

كل الأساتذة والدكاترة الفضلاء من كلية الآداب واللغات

ونخص بالذكر كل أساتذة اللغة والأدب العربي

جامعة عمار ثليجي الأغواط

مقدمة

يعد المكان العمود الأساسي في الرواية، وهو الدعامة التي ترتكز عليها باقي عناصر السرد الأدبي كالزمن والحدث والشخوص سواء أكانوا أساسيين أم ثانويين.

ثم إن عرض المكان في الرواية إما أن يكون نتيجة تجربة حقيقية يعيشها الكاتب أو يعيشها من هم حوله بواقع حقيقي بكل تفاصيله، أو أن يكون من وحي خياله فحينها يمتلك كامل الحرية في التحرر من الواقع متجهاً نحو أفق التشويق والإبداع للقارئ ولكن شريطة ألا يشوه ملامح المكان الحقيقي.

إذ أخذ المكان "البنية المكانية" في الرواية العربية الحديثة والمعاصرة أبعاد عديدة جمالية وفنية وأضحى عنصرا فاعلا ورئيسا في بناء الرواية، انطلاقا من الأهمية والمكانة التي يحظى بها عنصر المكان في الرواية اخترنا هذا الموضوع الموسوم بـ البنية المكانية في رواية المتسامح للكاتب "بلحيا الطاهر"، حيث ترجع اسباب اختيار الموضوع إلى عوامل ذاتية تتمثل في الرغبة والميول للبحث في هذا الجانب، أما العامل الثاني الموضوعي سبق الإشارة إليه وهو دور وأهمية المكان في الرواية العربية الحديثة من جهة، ثم لأن الرواية لم تدرس من قبل لذلك نأمل أن تكون بداية لدراسات أخرى في المستقبل من جهة أخرى.

وبناءً على ما تقدم نطرح الاشكالية الآتية: فيما تتمثل أهمية المكان في الرواية؟ وما دور المكان بناء وتطور أحداث الرواية وكذا فى طبيعة الشخصيات التى تتفاعل معه؟ وما علاقة المكان بباقي العناصر الفنية في الرواية؟.

وللإجابة على هذه التساؤلات وغيرها اعتمدنا على عدد من المراجع من أهمها: جان بياجيه، البنيوية، تر: عارف منيمنة، بشير أوبري، منشورات عويدات، بيروت- باريس، ط4، 1985، حسن البحراوي، بنية الشكل الروائي الفضاء الزمن الشخصية، المركز الثقافي العربي، ط1 . حميد لحمداني، بنية النص السردي من منظور النقد العربي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1991. صلاح فضل، نظرية البنائية في النقد الأدبي، دار الشروق، ط1، 1998. عبد مالك مرتاض، في نظرية الرواية (بحث في تقنيات السرد ،

عالم المعرفة سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة و الفنون والأدب، الكويت 1998.

وعليه قسمنا بحثنا إلى مدخل وفصلين فأما المدخل فوسمناه بـ:" في المفاهيم " فيه تطرقت أولا إلى مفهوم البنية لغة واصطلاحا حيث عرضت مختلف التعاريف والأقوال لأبرز الباحثين السرديين، ، ثم تعرفنا على ماهية المكان لغة اصطلاحا كما تعرضنا إلى مفهوم الفضاء والحيز المرادف لمصطلح المكان، ثم تطرقنا إلى المكان في النقد العربي والغربي وأخير تحدثنا عن أهمية المكان في الرواية.

أما الفصل الأول الموسوم بـ" التشكيلات المكانية في رواية المتسامح" حيث تطرقنا الى التشكيلات المكانية في الرواية المتمثلة في الأماكن المغلقة والأماكن المفتوحة.

أما الفصل الثاني الموسوم بـ" علاقة المكان بالمكونات السردية" حيث تطرقنا أولا إلى علاقة المكان بالمكونات السردية، ثم تطرقنا إلى علاقة المكان بالشخصيات، وأخيرا ارتباط المكان بالوصف.

واعتمدنا في دراستنا هذه على المنهج البنيوي على اعتبار أننا درسنا البنية المكانية في الرواية وهو المنهج الأنسب لمثل هذه الدراسات والبحوث.

ثم ختمنا بحثنا بجملة من النتائج التي توصلنا إليها من خلال دراستي لهذا الموضوع والرواية.

من بينها: أن المكان لا يشكل الوعاء القصصي والروائي فحسب إنّما يؤدي دوره في بناء الخطاب القصصي، إذ للمكان دور كبير في النصوص السردية، لا تقل أهمية عن الزمان والشخصيات وباقي العناصر السردية.

كما تراوحت التشكيلات المكانية في رواية المتسامح بين الأماكن المغلقة والأماكن المفتوحة التي كانت مسرحا وفضاء تتحرك فيه الشخصيات.

كما لاحظنا من خلال دراستنا أن هناك ارتباط وثيق بين الشخصيات والأماكن المختلفة في الرواية لاسيما شخصية الأمير في الرواية، الذي كان له ارتباط شديد بعديد الأماكن التي شكلت وكونت شخصيته، لاسيما المزبلة ومركز الأيتام و جبل تمدة.

و لا يخلو أي بحث من البحوث من صعوبات ولعل أبرز الصعوبات اعترضت طريقنا في هذا البحث كانت في الجانب اذ لم يسعنا المقام التوسع في الجانب التطبيقي وبالتالي عدم الاحاطة بمختلف الأماكن في الرواية وابعادها ودلالتها وعلاقتها مع مختلف العناصر والمكونات السردية.

في الأخير أتوجه بالشكر للأستاذ المتميز الذي أشرف على هذا البحث ، الأستاذ الدكتور "عثماني بولرباح" ، الذي لم يدخر جهداً في مساعدتي وتوجيهي ، حيث كان في عوني وقدم لي المساعدة كلما احتجت إلى ذلك، وكان دائمًا يشجعني على المثابرة و طلب العلم ، فله مني كل التقدير والشكر والامتنان حفظه الله ورزقه الصحة والعافية.

المدخل: في المفاهيم

أولا: مفهوم البنية

ثانيا: مفهوم المكان

ثالثا: المكان في النقد العربي والغربي

رابعا: أهمية المكان

أولا: مفهوم البنية:

أ/ المفهوم اللغوي:

ورد في لسان العرب لابن منظور في مادة (بنى) والبنى، نقيض الهدم، والبناء المبنى والجمع البنية وأبنيات جمع الجمع واستعمل أبو الحذيقة البناء في السفن فقال: يصف لوحاً يجعله أصحاب الراكب في بناء السفن، وأنه أجدل البناء فيما لا ينتهي كالحجر والطين ونحوه.[1]

" البِنْيَة والبُنْيَة والبِنىَ والبُنىَ، وأنشد الفارسي عن أبي الحسن الحطئية:

أُولئك قومٌ، إِنْ بَنَوْا أَحْسَنُوا البُنَى، ... وَإِنْ عاهَدُوا أَوْفَوْا، وَإِنْ عَقَدُوا شَدُّوا

وَيُرْوَى :أَحْسَنُوا البِنَى؛ قَالَ أَبو إِسْحَاقَ :إِنَّمَا أَراد بالبِنَى جَمْعُ بِنْيَةٍ، وَإِنْ أَراد البِناءَ الَّذِي هُوَ مَمْدُودٌ جَازَ قَصْرُهُ فِي الشِّعْرِ، وَقَدْ تَكُونُ البِنايةُ فِي الشَّرَف، وَالْفِعْلُ كَالْفِعْلِ".[2]

و قَالَ يَزيدُ بْنُ الحَكَم:

والناسُ مُبْتَنيانِ :مَحْمودُ ... البِنَايَةِ، أَو ذَمِيمُ

وَقَالَ لَبِيدٌ:

فبَنَى لَنَا بَيْتاً رَفِيعًا سَمْكُه، ... فَسَما إِلَيْهِ كَهْلُها وغُلامُها

ابْنُ الأَعرابي :البِنَى الأَبْنِيةُ مِنَ المَدَر أَو الصُّوفِ، وَكَذَلِكَ البِنَى مِنَ الكَرَم.

وأَنشد بَيْتَ الْحُطَيْئَةُ:

[1] ينظر: ابن منظور، لسان العرب ، مادة (بنى)، دار صادر ، بيروت، د ط، د ت، ج 14، ص 94

[2] المصدر نفسه، ص 94.

أُولئك قَوْمٌ إِنْ بَنَوا أَحسنوا البِنَى.[1]

يتبين مما سبق أن الفعل " بنى" بمعنى التشييد والرفع والتكوين والجمع، والبنية المصدر الناتج عن الفعل.

" البنْيَةٌ، وَهِيَ مِثْلُ رِشْوَةٍ ورِشاً كأَنَّ البِنْيَةَ الْهَيْئَةُ الَّتِي بُنِيَ عَلَيْهَا مِثْلَ المِشْيَة والرِّكْبةِ. وبَنَى فلانٌ بَيتاً بِنَاءً وبَنًّى، مَقْصُورًا، شُدِّدَ لِلْكَثْرَةِ. وابْتَنَى دَارًا وبَنَى بِمَعْنًى .والبُنْيَانُ :الحائطُ .الْجَوْهَرِيُّ :والبُنَى، بِالضَّمِّ مَقْصُورٌ، مِثْلَ البِنَى .يُقَالُ :بُنْيَةٌ وبُنًى وبِنْيَةٌ وبِنًى، بِكَسْرِ الْبَاءِ مَقْصُورٌ، مِثْلَ جِزْيةٍ وجِزًى، وَفُلَانٌ صَحِيحُ البِنْيَةِ أَي الفِطْرة .وأَبنَيْتُ الرجلَ :أَعطيتُه بِناءً أَو مَا يَبْتَني بِهِ داره" .[2]

قال تعالى: (وبنينا فوقكم سبعاً شداد).3

وجاء في معجم تاج العروس الزبيدي "البُنْيَةُ، بالضَّمِّ والكسْر :مَا {بَنَيْتَه}، ج(البِنَى) بالكسْرِ، (والبُنَى) ، بالضمِّ مَقْصُورانِ جَعَلَهُما جَمْعَينِ.

وسِياقُ الجَوْهرِيّ والمُحْكَم أَنَّهما مُفْردانِ؛ فَفِي الصَّحاحِ :والبُنَى، بالضَمِّ، مَقْصورَةٌ مِثْل البِنَى .يقالُ {:بُنْيَةٌ} وبُنىً {وبِنْيَةٌ} وبِنىً، بكسْرِ الباءِ مَقْصورٌ، مثْلُ جِزْيةٍ وجِزىً.

وَفِي المُحْكَم {:والبِنْيَةُ} والبُنْيَةُ: مَا[نَيْتَهُ].[4]

[1] لسان العرب، ج14، ص 94. مادة (ب. ن.ى.)

[2] المصدر نفسه، ج14، ص 94. مادة (ب. ن. ى)

[3] سورة النبأ الآية12

[4] ينظر: محمّد مرتضى الحسيني الزَّبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحق: جماعة من المختصين، إصدار وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت – المجلس الوطني للثقافة ، الكويت،)١٣٨٥ – ١٤٢٢ هـ) = (١٩٦٥ – ٢٠٠١ م)، ج 37، ص 216.

من خلال استطلاعنا وبحثنا على المعاجم العربية عن مفهوم البنية لاحظنا اتفاق على دلالته في المعاجم العربية، حيث بقي محافظا على معناه في مختلف الاستخدامات التطبيقية والنظرية، من حيث أن البنية تعني البناء أو الطريقة التي يقوم عليها بناء ما، ثم امتد مفهوم ومعنى الكلمة ليشمل وضع الإجراء في مبنى ما من جهة النظر الفنية المعمارية بما يؤدي إليه من جمال تشكيلي.[1]

و قد استخدمت كلمة البنية لدى الشعراء العرب لدلالة على التشييد و البناء والتركيب كما رأينا في البيت السابق، أما اللغويون فقد تصوروا هذا اللفظ على أنه الهيكل الثابت للشيء، ويقابله الإعراب، ومن هنا جاءت تسميتهم للفعل المبني والفعل المعرب، الأول ثابت لا يقبل تعدد الحركات الإعرابية بينما الثاني يقبلها، ومن هنا أطلقوا تسمية المبني للمعلوم والمبني للمجهول.[2]

ويقول صلاح فضل: " تشتق كلمة بنية من اللغات الاوروبية من الاصل اللاتينيStruere الذي يعني البناء أو الطريقة التي يقام بها مبنى ما".3

ب/ المفهوم الاصطلاحي:

يعد مفهوم البنية من المفاهيم النقدية التي يصعب تحديدها أو اعطاؤها تعريفا شاملا موحدا ولعل الدليل على ذلك كثرة تعريفات وتعددها ، وقد ارتبطت في عمومها بالمجال البنيوي حيث حظيت باهتمام الباحثين في الحقل اللساني.

1 ينظر: صلاح فضل، نظرية البنائية في النقد الأدبي، دار الشروق، ط1، 1998، ص 175.

2 ينظر: خليفي سعيد، البنية السردية بين المفهوم النظري والإجراء النقدي، المركز الجامعي غليزان. ص 177.

3 صلاح فضل، النظرية البنائية في النقد الأدبي، ص190.

من بين التعريفات ما قاله أندري لالاند "Andrei Lalland " بأن البنية تستعمل من أجل تعيين كل مكون من ظواهر متاضمنة، بحيث يكون كل عنصر فيها متعلق بالعناصر الأخرى ولا يستطيع أن يكون ذا دلالة إلا في نطاق الكل، هذا الفكرة في الأساس فيما نسميه أيضا نظرية الصيغ".[1]

أما ايميل بنفنست"Emile Benveniste " فيرى " أن البنية هي ذلك النظام المنسق الذي تتحد كل أجزائه بمقتضى رابطة تماسك وتوقف، تجعل من اللغة مجموعة منتظمة من الوحدات أو العلامات المنطوقة التي تتفاعل ويحدد بعضها بعضا على سبيل التبادل".[2]

بينما يرى بياجه"John Piageh " " أن البنية مجموعة من تحولات على قوانين كمجموعة تقابل خصائص العناصر تبقى أو تعتني بلعبة التحولات نفسها، دون أن تتعدى حدودها أو تستعين بعناصر خارجية".[3] يتضمن هذا التعريف جملة من السمات المميزة ، فالبنية أولا نسق من التحولات الداخلية ، ثانيا لا يحتاج هذا النسق لأي عنصر خارجي فهو يتطور ويتوسع من الداخل ، مما يضمن للبنية استقلالا ويسمح للباحث بتعقل هذه البنية.

أما الانتروبولوجي الفرنسي كلود ليفي سترا وس " Claude Levy Stra et S " فإنه يحدد البنية بأنها "نسق يتألف من عناصر يكون من شأن أي تحول يعرض للواحد منها أن يحدث تحولا في باقي العناصر الأخرى " من خلال هذا التعريف يتجلى أن وراء الظواهر المختلفة يكمن شيء مشترك

1خليفي سعيد، البنية السردية بين المفهوم النظري والإجراء النقدي،. ص 178.

2 المرجع نفسه، ص 178.

3 البنيوية، جان بياجيه، تر: عارف منيمنة، بشير أوبري، منشورات عويدات، بيروت- باريس، ط4، 1985، ص81.

يجمع بينها ، وهو تلك العلاقات الثابتة التجريبية ، لذلك ينبغي تبسيط هذه الظواهر من خلال إدراك العلاقات لأن هذا الأخير أبسط من الأشياء نفسها في تعقدها وتشتتها.[1]

بينما جاء في قاموس السرديات :" إنها شبكة العلاقات الحاصلة بين المكونات العديدة للمكان للكل وبين كل مكون على حدة والكل ، فإذا عرفنا الحكي بوصفه يتألف من القصة، خطاب فمثلاً كانت بنيته هي شبكة العلاقات بين القصة والخطاب، القصة والسرد، الخطاب والسرد" .2

كما أورد صلاح فضل مفهوماً لها : بقوله هي ترجمة لمجموعة من العلاقات بين عناصر مختلفة أو عمليات أولية على شرط أن يصل الباحث إلى تحديد خصائص المجموعة والعلاقات القائمة فيما بينها من وجهة نظر معينة تتميز فيما بينهما بالتنظيم والتواصل بين عناصرها المختلفة.3

كما حدد إبراهيم زكرياء البنية في قوله: " إنها لم تعد مجرد مفهوم علمي أو فلسفي يجري على أقلام علماء اللغة وأهل الأنثروبولوجيا وأصحاب التحليل النفسي وفلاسفة الابستيمولوجيا أو المهتمين بتاريخ الثقافة فحسب، بل هي قد أصبحت أيضا (المفتاح العمومي) الذي يهيب به رجل الأعمال والنقابي وعالم الاقتصاد والمربي، والنحوي والناقد الأدبي والمخرج السينيمائي ورجال الاعلام والقصاص ومصمم الأزياء، والمهتم بشؤون الطهو... ألخ، ولا شك أن كل هذه التطبيقات

1محاضرة، الفلسفة البنيوية المفهوم والنشأة، جامعة محمد لامين دباغين، سطيف، Monday 13 February 2017، https://cte.univ-setif2.dz/. اطلع عليه بتاريخ 2023/ 05/ 03. الساعة: 11:30.

2 جيرالد برنس، قاموس السرديات، ترجمة السيد امام، ميريت للنشر، القاهرة، ط1، 2003، ص191.

3 ينظر: صلاح فضل، النظرية البنائية في النقد الأدبي، ص 37

التي عرفها منهج التحليل البنيوي هي التي جعلت البنية كلمة واسعة فضفاضة، لا تكاد تعني شيء لأنها تعني كل شيء".[1]

فهي على حد تعبيره الكلمة السحرية التي تحوي من المعاني ما لا حصر له حتى قيل عنها أنها لفظ متعدد الدلالات.[2]

ثانيا: مفهوم المكان:

1- المفهوم اللغوي:

جاء في لسان العرب لابن منظور: " المكان أو المكانة واحد التهذيب: أصل تقدير الفعل مفعل، ألنه موضع لكينونة الشيء فيه غير أنه لما كثر أجروه في التصريف مجرى فعال فقالوا: مكنانة و قد تمكن،...و المكان المو ضع و الجمع أمكنه كقذال أقذله، و أماكن جمع الجمع... و العرب تقول: كن مكانك و قم مكانك و اقعد مكانك، فقد دل هذاعلى أنه مصدر من كان أو موضع منه" 3

وجاء في المحكم والمحيط الأعظم: و اِلْمَكَان :الْموضع وَالْجمع: أمكِنه، كقَذَال وأقْذِلَة وأماكن :جمع الْجمع.

" قَالَ ثَعْلَب :يَبْطُل أَن يكون " مَكَان " فَعَالاً، لِأَن الْعَرَب تَقول :كن مَكَانك. وقم مقامك، واقعد مَقْعَدك، فقد دلّ هَذَا على أَنه مصدر من :كَانَ، أَو مَوضِع مِنْهُ، قَالَ :وَإِنَّمَا جمع: أمكنة، فعاملوا الْمِيم الزَّائِدَة مُعَاملَة الْأَصْلِيَّة، لِأَن الْعَرَب تشبه الْحَرْف بالحرف، كَمَا قَالُوا :مَنَارَة ومنائر، فشبهوها بفعالة، وَهِي مَفْعَلة من النُّور، وَكَانَ حكمه :مَنَاور، وكما قيل :مَسِيل وأمْسِلة ومُسُل ومُسْلان، وَإِنَّمَا مَسِيل :مَفْعِل من السَّيْل، فَكَانَ يَنْبَغِي ألاّ يتَجَاوَز فِيهِ مَسَايِل، لكِنهمْ جعلُوا الْمِيم الزَّائِدَة فِي حكم

[1] ينظر: زكرياء إبراهيم، مشكلات فلسفية مشكلة البنية أو أضواء على البنيوية، مكتبة مصر، دط، 2005، ص7.

[2] المرجع نفسه، ص 8.

3 لسان العرب، ج 13، ص414.

الْأَصْلِيَّة فَصَارَ مَفْعِل فِي حكم فَعِيل فكُسِّر تكسيره" . وتمكَّن من الشَّيْء، واستمكن :ظفر.وَالِاسْم من كل ذَلِك :المكانة" [1].

بينما جاء في تاج العروس والمكانُ: المَوْضِعُ (الحاوِي للشيءِ.)

" وعنْدَ بعضِ المُتكلِّمين أنَّه عَرْضٌ، وَهُوَ اجْتِماعُ جِسْمَيْن حاوٍ ومحويّ، وذلِكَ ككَوْنِ الجِسْم الحَاوِي مُحِيطاً بالمَحْويّ، فالمكانُ عنْدَهُم هُوَ المُناسَبَةُ بينَ هذَيْن الجِسْمَيْن، وليسَ هَذَا بالمَعْروفِ فِي اللّغَةِ؛ قالَهُ الرَّاغبُ. (ج أَمْكِنَةٌ) كقَذَالٍ وأَقْذِلَةٍ؛ وأَماكِنُ (، جَمْعُ الجَمْعِ.)".[2]

من خلال ما سبق ذكره في المفهوم اللغوي لمصطلح المكان يتضح أن معانيه تدور حول الموضع الحاوي للشيء والمكانة والمنزلة

2- المفهوم الاصطلاحي:

يلعب مصطلح المكان في البنية دورا هاما في السرد ككل فهو (Space)بالإنجليزية و في اللغة الفرنسية(Espace)يمثل مكونا محوريا في بنية السرد بحي ث ال يمكن تصور حكاية من دون مكان، فال وجود ألحدا ث خارج المكان ذلك أن كل حد ث يأخذ وجوده في مكان محدد و زمان معين.

إذ يعد مرآة تنعكس على سطحها صورة الشخصيات كما يمثل المكان إلى جانب الزمان الإحداثيات الأساسية التي تحدد الأشياء الفيزيقية، فنستطيع أن نميز بين الأشياء من خلال وضعها في المكان .لذلك فإن المكان يمثل بؤرة العمل السردي، إذن جمعه عالقة وطيدة مع باقي مكونات السرد.

"فالمكان أو الأمكنة التي تقدم فيها الوقائع و المواقف و الذي تحد ث فيه اللحظة السردية ،فمثال إذا قام السارد بأداء سرده من سرير في أحد المستشفيات فإن هذا أو أنها على حافة الموت،

[1] ابو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، المحكم والمحيط الأعظم، تحق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط1، 2000م، ج7، ص 71.

[2] محمّد مرتضى الحسيني الزَّبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس ص 189، 190.

و أنها تسارع من أجل أن تكمل سردها[1] . "إن المكان هو الرقعة التي يتم فيها عرض اللحظة السردية أو المشهد السردي.

يقول فاروق أحمد سليم "نحصل على لفظ يدل دلالة عميقة على صيرورة الحياة الإنسانية، فالمكان هو الموضع الذي يولد(يحدث ويخلق ويوجد) فيه الإنسان، وهو الموضع الذي يستقر فيه، وهو الموضع الذي يعيش ويتطور (يصير) فيه إذ يتنقل من حال إلى آخر، وما ينطبق على تطور حياة الإنسان الفرد ينطبق على تطور حياة الجماعات والأمم" [2].

أما في معجم التعريفات للعلامة الجرجاني يقول المكان: عند الحكماء: هو السطح الباطن من الجسم الحاوي المماس للسطح الظاهر من الجسم المحوي، وعند المتكلمين: هو الفراغ المتوهم الذي شغله الجسم ينفذ فيه أبعاده[3].

وعند جيرالد برنس"Gerald Prince " المكان أو الأمكنة التي تقدم فيها الوقائع والمواقف (مكان المواقف وزمانها مكان القصة) والذي تحدث فيه اللحظة السردية.[4]وتأسيسا على ذلك يمكننا النظر إلى المكان بوصفه شبكة من العلاقات والرؤيات، ووجهات النظر التي تتضامن مع بعضها لتشييد الفضاء الروائي: الذي ستجري فيه الأحداث فالمكان يكون منظما بنفس الدقة التي نظمت بها العناصر الأخرى في الرواية.[5]، كذلك يجدر بنا الإشارة إلى اهتمام الفلاسفة لمصطلح المكان ابتداء من أفلاطون حيث يعتبر أن المكان حاويا وقابلا للشيء ثم توسع فيه ارسطو حيث قال " إن المكان هو السطح الباطن المماس للجسم الحاوي، وهو على نوعين: خاص فلكل جسم مكان

1 ينظر: كريمة سمار، تجليات المكان في رواية أشباح المدينة المقتولة لبشير مفتي، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر، جامعة لعربي بن لمهيدي أم البواقي، 2013- 2014م، ص 156.

[2]فاروق أحمد سليم، الانتماء في الشعر الجاهلي، اتحاد الكتاب العرب، ص 192.

[3] ينظر:علي بن مُحَمَّد السيد الشريف الجرجاني، تحق: مُحَمَّد صديق المنشاوي/ دار الفضيلة، ص 191.

[4]جيرالد برنس، المصطلح السردي، تر عابد خزندار، تقد: مُحَمَّد بريري، المجلس الأعلى للثقافة، ط1 ،2003، ص 214.

[5]حسن البحراوي، بنية الشكل الروائي الفضاء الزمن الشخصية، المركز الثقافي العربي، ط1 ، 1990 ، ص 32.

يشغله ومشترك يوجد فيه جسمان أو أكثر" فقد أضاف أرسطو طابعا حسيا ملموسا للمكان لأن المكان مرتبط بالوجود الإنساني.[1]

و باعتبار المكان أحد العناصر السردية في العمل الروائي فإنه واجه عددا من الإشكاليات في الدراسات النقدية تتعلق بمفهومه، ووفقا لهذه الإشكاليات تعددت مسمياته فأحيانا يطلق عليه المكان و أحيانا(الفضاء) أو "الحيز المكاني".

أ/ مفهوم الفضاء:

يشيع مصطلح الفضاء عند الغربيين أما عند العرب فلا يصطنعون مصطلح الفضاء إلا في كتاباتهم النقدية الخاصة، لذلك أبرزت الدراسات النقدية أهميته، فقد أشار الناقد حسن بحراوي إلى مصطلح الفضاء في كتابه "بنية الشكل الروائي" على أن الفضاء الروائي مثل المكونات الأخرى للسرد فهو لا يوجد إلا من خلال اللغة فهو فضاء لفظي بامتياز، وقد أشار أيضا إلى الفضاء الحكائي والفضاء النصي والفضاء الطباعي[2] واعتبر الفضاء الروائي مرتبط بزمن القصة لأنه يقيم صلات وثيقة مع باقي المكونات الحكائية في النص وتأتي في مقدمتها علاقته بالحدث الروائي والشخصيات التخيلية[3] .

فنظرته إلى الفضاء الروائي أنه ينشأ من خلال وجهات نظر متعددة لأنه يقاس على عدة مستويات : من طرف الرواي ومن خلال اللغة التي يستعملها ثم من خلال باقي الشخصيات الأخرى التي يحتويها المكان، ومن طرف القارئ الذي يدرج بدوره وجهة نظر غاية في الدقة.[4]

أما غاستون بشلار"Gaston Bachlar " تعرض لمفاهيم الفضاء فلسفيا وجماليا، واعتمد على عنصر الخيال الذي عده الرابط الأساسي بينه وبين الفضاء، حيث يرى في دراسته أن الخيال لا

1 ينظر: عوجاج فاطمة الزهراء، المكان زدلالته في الرواية المغاربية المعاصرة، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراة في الأدب العربي، إشراف الأستاذ عقاق قادة، جامعة سيدي بلعباس، 2017/ 2018.

[2] ينظر: حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي(الفضاء، الزمن، الشخصية) ، ص27

[3] ينظر: المرجع نفسه، ص29

[4] ينظر، المرجع نفسه، ص32

يوجد موضوع دون ذات، بل إن الخيال بالنسبة للمكان يلغي موضوع الظاهر المكانية؛ أي كونها ظاهرة هندسية ويحيل مكانها ديناميكية الخاصة المفارقة.[1]

كما اجتهد الناقد حميد الحمداني في بيان أهمية المصطلح في كتابه" بنية النص السردي" من منظور أدبي وقد أشار إلى الفضاء كمعادل للمكان، والفضاء الجغرافي والفضاء النصي، والفضاء الدلالي والفضاء كمنظور أو كرؤية، كما ميز بين الفضاء والمكان على أن الفضاء أشمل وأوسع من معنى المكان لأنه يلتقي وصف المكان مع الانقطاع الزمني، في حين أن الفضاء يفترض دائما تصور حركة داخله؛ أي يفترض الاستمرارية الزمنية.[2]

ونظرته أنه لا يمكن تصور الفضاء الروائي دون تصور الحركة التي تجري فيه، في حين أنه يمكن تصور المكان الموصوف دون سيرورة زمنية حكائية، أنه العلم الواسع الذي يشمل مجموعة الأحداث الروائية، فيصف فضاء الرواية بالشمولية والتعددية التي تشمل مجموع الأحداث الروائية بكل أنواعا وخلفياتها ورؤها وقد ميز الناقد الغموض بين مصطلحي المكان والفضاء[3]

وقد استهدف كذلك الناقد سعيد يقطين أهمية المصطلح قائلاً: إن الفضاء أهم من المكان لأنه يشير إلى ما هو أبعد وأعمق من التحديد الجغرافي فهو بذلك يميز بين المكان والفضاء فالفضاء يسمح لنا بالبحث من فضاءات تتعدى المحدود والمجسد بمعانقة التخييل والذهني ومختلف الصور التي تتسع لها مقولة الفضاء.

فقد أضاف كل ناقد صبغته الواضحة والجلية في فك الغموض حول مصطلح الفضاء، و أن الفضاء معناه شامل وأهم من المصطلحات الأخرى[4].

[1] ينظر: غاستون بشلار، جماليات المكان، تر: غالب هلسا، لبنان، ط2، ص10

[2] ينظر: حميد الحمداني، بنية النص السردي من منظور النقد العربي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1991، ص62

[3] المرجع نفسه، ص63

[4] سعيد يقطين، قال الروائي البنيات الحكائية في سيرة الشعبية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1997، ص240

نلاحظ من القول أن مصطلح الفضاء أشمل من مصطلح المكان بحيث يحيلنا إلى دلالات وأبعاد متعددة قد لا نجده في مصطلح المكان.

ب/ مفهوم الحيز:

إن مصطلح الحيز (Espsce -Space) لا يبرح غير قادر ولا مجمع عليه في الاستعمال السيميائي العالمي (من حيث هو مفهوما)، ولا في الاستعمال السيميائي العربي المعاصر من حيث هو مصطلح، بل ولا في الاستعمال الفلسفي أيضا، كما سنرى بعد حين، كما أن مفهوم الحيز ينشأ عنه بالضرورة الحديث عما يمكن أن نطلق عليه في اللغة العربية " التحيز" مقابلا للمصطلح السيميائي الغربي Spatialigation-Spatialisation الذي هو انتاج لنوع ما من الحيز[1]

والحيز في مفهوم الفلاسفة وسط مثالي ولا نري نحن ضرورة لذلك ليكتسب مثاليته التي قد تسلب منه إذا دل على موقع غير مرغوب فيه، أم يمكن أن يكون حيز السجن مثلاً " وسط مثالياً، والحال أنه في مفهوم كل ذهن عاقل يشكل حيزاً ما (فضاء) مزعجا بل مشيقا؟ ولا يقال إلا مثل ذلك في حيز النعيم في الجنة، وحيز العذاب في الجحيم، فالأول مثالي محبوب والأخر مذموم غير محمود".[2]

والحيز لدى غريماس"Grimas" هو" الشيء المبني المحتوي على عناصر متقطعة" انطلاقا من الامتداد المتصور هو على أنه يعد كامل، ممتلئ، دون أن يكون حل لاستمراريته، ويمكن أن يّدرس هذا الشيء المبني من وجهة نظر هندسية خالصة"[3]

كما نجد أن الناقد عبد المالك مرتاض إهتم في دراسته بمصطلح " الحيز" بدل مصطلح" المكان" أو "الفضاء" حيث يقول: " أنّ مصطلح " الفضاء" من منظورنا على الأقل، قاصر بالقياس إلى الحيز:

[1] عبد مالك مرتاض، في نظرية الرواية (بحث في تقنيات السرد ، عالم المعرفة سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة و الفنون والأدب، الكويت 1998 ، ص 296

[2] المرجع نفسه، ص 299

[3] المرجع نفسه، ص122.

لأن الفضاء من الضرورة أن يكون معناه جاريا في الخواء والفراغ، بينما الحيز لدينا ينصرف استعماله إلى النتوء، و الوزن والثقل والحجم والشكل ....على حين أن المكان نريد أن نقفه، في العمل الروائي على مفهوم الحيز الجغرافي وحده."

مما سبق ذكره نصل إلى تحديد مفاده أن هذه المصطلحات تحمل دلالة متقاربة مع وجود اختلافات طفيفة تتعلق بالشمولية والخصوصية وذلك استنتاجا من آراء بعض النقاد والدارسين الذين اعتبروا الفضاء أوسع من هذه المفاهيم والمكان أضيق من الحيز، ومن هنا يمكننا القول أن هذه المصطلحات تصب في وعاء واحد

3- المفهوم الفلسفي:

جاء المكان في المعاجم الفلسفية بمعنى الموضوع الذي يحتوي سطح الجسم ويشغله، إذ نجد في معجم مصطفى حسيبة أنه يقال:" مكان لشيء يكون فيه الجسم، فيكون محيطا به، و يقال مكان لشيء يعتمد عليه الجسم، فيستقر عليه "[1]...فقد أطلق على المكان معنيين، الأول الإحاطة بالجسم و الثاني الاستقرار عليه.

أما مراد وهبة يرى:" أن المكان الخاص Lieu هو الحيز الذي يشغله الجسم بمقداره، أو هو السطح الباطن من الجسم الحاوي للسطح الظاهر من الجسم المحوي، أو للمتمكن مفارق له عند الحركة و مساو له. و يتصف المكان بالإطلاق بأنه متجانس و متصل و غير محدود، فمثال أنت الآن في السماء لأنك في الهواء، و الهواء في السماء، ثم أنت في الهواء لأنك على الأرض و أنت على الأرض لأنك في هذا المكان الذي لا يحوي شيئا غيرك، و هذا المكان هو الحيز أو المكان المشترك . " [2] فقد فرق مراد وهبة بين نوعين من المكان، خاص و مشترك و جعل المكان يتصف بالإطلاق و الاتصال و عدم المحدودية و كذلك التجانس.

[1] مصطفى حسيبة :" المعجم الفلسفي أول معجم شامل بكل المصطلحات الفلسفية المتداولة في العالم و تعريفاتها"، دار أسامة للنشر و التوزيع، الأردن، عمان، ط1 ،2009، ص 603.

[2] مراد وهبة:" المعجم الفلسفي معجم المصطلحات الفلسفية"، دار قباء للنشر و التوزيع، 1998، ص 663

و قد قام بعض الفلاسفة القدماء بتقديم تعريف للمكان في مختلف العصور نذكر منهم :ابن سينا الذي قال:" أن المكان مساو، فإما أن يكون مساويا لجسم المتمكن، و قيل أنه محال أو يكون مساويا لسطحه و هو الصواب ".[1] لقد قدم للمكان دلالتين، و أيد واحدة على الأخرى

بينما عرفه أرسطو" Aristote " بأنه:" الحيز الذي يشغله جسمان أو أكثر " .[2] في حين أفلاطون"Platon " قال" :بأنه ما يحوي الأشياء و يقبلها و يتشكل بها، و أضاف العالمان الفيزيائيان نيوتن و كلارك على تعريف أفلاطون خصائص اللاتناهي و الأبدية و القدم و عدم الفناء، و اتفق ديكارت و الفيلسوف الرياضي اقليدس على أن المكان ينبغي أن يكون ذا ثالثة أبعاد هي الطول و العرض و العمق . "[3] نلاحظ أن أفلاطون قدم له نفس المعنى السابق مع القابلية و التشكل، في حين نيوتن و كلارك ساروا مسار أفلاطون لكنهم أضافوا خاصية اللاتناهي.

ثالثا: المكان في النقد العربي والغربي:

أ/ المكان في النقد العربي:

لقد اهتم الكثير من النقاد بالمكان الروائي الذي يقصد به المكان الفني المذكور في الرواية والذي يتخيله الروائي أو يضعه فنياً ولغوياً وهو الذي تستهدفه الدراسات النقدية وهو مكان يكتشف عن طريق القراءة ويستطيع الكاتب ببراعته الفنية أن يبتكر صورا عن طريق اللغة تجعل المكان الفني مشاهد بالبصر.

ولعل أفضل من أعطى اهتماما مثل اهتمام كبير للمكان هو الناقد الفرنسي" غاستون باشلار" في كتابه المعنون بـ" جماليات المكان" وقد قام بترجمة هذا الكتاب الناقد العربي " غالب هلسا" حيث أوضح في مقدمة كتابه مدى وعي "باشلار " بالدور الذي يؤديه المكان في حياة الإنسان

[1] مراد وهبة:" المعجم الفلسفي معجم المصطلحات الفلسفية، ص 603.

[2] المرجع نفسه، ص 664.

[3] ينظر: هاجر جعو، دنيا طرباق، البنية المكانية في رواية رياح القدر لمولود بن زادى، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر، جامعة العربي بن لمهيدي ام البواقي، 2017/2016، ص 14.

منذ زمن الطفولة إلى زمن الكهولة كذلك أكد على أهمية المكان في العمل الأدبي حيث أن باشلار تكلم عن المكان المتخيل في الرواية بمختلف المسميات وشتى المدلولات ويقول في ذلك" إنّ المكان الذي ينجذب نحوه الخيال لا يمكن أن يبقى لا مبالياً ذا أبعاد هندسية وحسب، فهو مكان قد عاش فيه البشر ليس بشكل موضوعي فقط بل بكل ما في الخيال من تحيز إننا ننجذب نحوه لأنه يكثف الوجود في حدود تتسم بالحماية في كلذ الصور، لا تكون العلاقات المتبادلة من الخارج والألفة متوازنة"[1]

وإن دلّ هذا على شيء فإنه يدل على أنّ "باشلار" أبدى اهتماما بطبيعة الأماكن خاصة منها المحبوبة، فهو يفرق بين نمطين من الأمكنة : الأليفة والمعادية، كما يركز أيضاً على القيمة الإنسانية التي يتسم بها المكان.

بينما درس الفرنسيان جورج بولي و جيليبر دوران " George Poly et Gilliber Duran " الفضاء الروائي لذاته، ولم يقوما بتحليل الروابط التي تجمع بين الفضاء الروائي و الانساق الطوبولوجية الأخرى في العمل، ولا بينه وبين مجموع المكونات الحكائية، ومن ثمة جاء تحليلها للمكان الروائي قاصراً عن أن يدرك الأبعاد المختلفة لبنية المكان في تشكيلاتها ومظاهرها "[2] فهم ركزوا في تحليلهم على الفضاء ولم يهتموا بباقي العناصر الحكائية، وهذا ما جعله تحليلاً قاصراً.

وهناك من يرى أن المكان هو" أحد العوامل الأساسية التي يقوم عليها الحدث، فلن تكون هناك دراما، بالمعنى الأرسطي للكلمة، ولن يكون هناك أي حدث، ما لم تلتقي شخصية روائية بأخرى في بداية القصة وفي مكان يستحيل فيه ذلك اللقاء"[3] وهذا يعني أن المكان في الرواية ليس مكاناً معتاداً كالذي تعيش فيه، ولكنه يشكل عنصر من بين العناصر المكونة للحدث الروائي

[1] ينظر: غاستون باشلار، جماليات المكان، ترجمة غالب هلسا، المؤسسة الجامعية ، ط 2، 1984، ص 31.
[2] حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، ص 26.
[3] المرجع نفسه، ص 29

كذلك نجد شارل غريفل"Charles Griffel " يرى بأن الفضاء الروائي" هو الذي يكتب القصة قبل أن تسطرها يد المؤلف "[1] إن المكان في الرواية هو خديم الدراما، فالإشارة إلى المكان تدل على أنه جرى أو سيجري به شيء ما، فبمجرد الإشارة إلى المكان كافية لكي تجعلنا ننتظر قيام حدث ما، وذلك أنه ليس هناك مكان غير متورط في الأحداث[2]

ويعتبر هنري متران" Henry Metran " "المكان هو الذي يؤسس الحي لأنه يجعل القصة المتخيلة ذات مظهر مماثل لمظهر الحقيقة "[3]

أما المكان عند جيرالد برنس في كتابه المصطلح السردي هو " الأمكنة التي تقدم فيها الوقائع والمواقف – مكان المواقف وزمانها، مكان القصة" والذي تحدث فيه اللحظة السردية"[4] .

ويعرف الباحث السيمائي يوري لوتمان"Yuri Lutman " المكان على أنه" مجموعة الأشياء المتجانسة من الظواهر أو الحالات أو الوظائف أو الأشكال المتغيرة التي تقوم بينهما علاقات شبيهة بالعلاقات المكانية المألوفة العادية مثل الاتصال المسافة"[5] فالعلاقة التي يعنيها لوتمان هي التطابقات المكانية والثنائيات الضدية مثل (فوق، تحت)

ويقول كذلك جورج بلان"George Blanc " حول علاقة الحدث بالمكان الروائي أنه " لا توجد أحداث لا توجد أمكنة"[6] وهذا يعني أن علاقة المكان بالحدث، تتجسد في علاقة الشخصيات بالمكان، فالشخصيات هي التي تعيش في هذه الأمكنة.

---

[1] المرجع نفسه، ص 30

[2] حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، ص 30

[3] حميد لحميداني ، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، ص 65

[4] جيرالد برنس، المصطلح السردي، ص 214

[5] محمد بوعزة ، تحليل النص السردي تقنيات ومفاهيم، الدار العربية للعلوم، بيروت، 2008، ص 99

[6] حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، ص 30

ويتوافق هذا القول مع ما أورده فليب هامون في سياق حديثه عن الوظيفة الأنثروبولوجية لوصف المكان " إن" البيئة الموصوفة تؤثر على الشخصية وتحفزها على القيام بالأحداث وتدفع بها إلى الفعل حتى أنه يمكن القول بأن وصف البيئة هو وصف مستقبل الشخصية[1]

ب - المكان عند النقاد العرب:

تناوله العديد من النقاد العرب في العصر الحديث، وهناك من تناول معناه لكن بمصطلح آخر كالفضاء والحيز ولعّل أوّل بوادر الاهتمام بالمكان بدأت مع ترجمة الناقد الروائي العراقي " غالب هالسا" في كتابه " شعرية الفضاء" (Poetique Céspace) لغاستون باشلار، إذ نقله إلى اللغة العربية تحت عنوان " جماليات المكان" حيث يقول: " ما كنت أفهمه من مصطلح المكانية قبل أن أقرأ هذا الكتاب الذي أقدمه للقارئ، ما كنت أعنيه بهذا المصطلح هو المكان الأليف، ولكنني كنت أتصور تلك الألفة على أنها ملامح المدينة المألوفة التي تعرف تاريخها وحاضرها جيداً مثل الشارع الذي ندمن الجلوس في مقاهيه، الأزقة الشعبية، البيت ذي الخصوصية الهندسية والزخرفية ...إلخ، وعندما قرأت هذا الكتاب تبين أن المكانية تذهب إلى أبعد من ذلك وهي أكثر تحديداً، إنها تتصل بجوهر العمل الفني، وأعني بها الصورة الفنية"[2]

أما الناقد حسن بحراوي في دراسة كتابه "بنية الشكل الروائي" يرى أن الوضع المكاني في الرواية " يمكنه أن يصبح أساسياً للمادة الحكائية ولتلاحق الأحداث والحوافز، أي أنه سيتحول في النهاية إلى مكون روائي جوهري، ويحدث قطيعة مع مفهومه كديكور"[3].

في حين نجد الناقد حميد الحميداني في كتابه " بنية النص السردي " قد تطرق إلى دارسة المكان من خلال التفريق بين مصطلحي الفضاء والمكان، واعتبر الفضاء أشمل وأوسع من المكان،

[1] ينظر: المرجع نفسه، ص 30.

[2] غاستون باشلار، جماليات المكان، ص 6.

[3] حسن بحراوي، بينة الشكل الروائي، ص 33.

ذلك أنه يضم جميع الأشياء والأحداث عكس المكان الذي يعد جزء من الفضاء نفسه " إن الفضاء وفق هذا التحديد شمولي، أنه يشير إلى " المسرح" الروائي بكامله، والمكان الذي يمكن أن يكون فقط متعلقا بمجال جزئي من مجالات الفضاء الروائي"[1].

أما الناقد ياسين النصير فيعرف المكان بقوله " المكان هو الجغرافية الخلاقة في العمل الفني، وإذا الرؤية السابقة له محددة باحتوائه على الأحداث الجارية فهو الآن جزء من الحدث، وخاضع خضوعاً كلياً له، فهو وسيلة فعالة في الحدث ووسيلة محتوية على تاريخية الحدث"[2].

أيضاً نجد الناقد عبد المالك مرتاض قد أعطى اهتمام كبير للمكان في دراساته وأطلق عليه مصطلح الحيز مقابلاً للمصطلحين الفرنسي والانجليزي(Fspace-Space) يقول: " أن مصطلح الفضاء من منظورنا على الأقل، قاصر بالقياس إلى الحيز، لأن الفضاء من الضرورة أن يكون معناه جارياً في الخواء والفراغ بينما الحيز لدينا ينصرف استعماله إلى النتوء والوزن، والثقل، والحجم والشكل، على حين أن نريد انفقه في العمل الروائي، على مفهوم "الحيز" الجغرافي وحده"[3].

أما الناقدة سيزا قاسم في كتابها "بناء الرواية"، ترى أن المكان محدد ترتكز فيه وقوع الأحداث، بينما الفضاء أطلقت عليه مصطلح الفراغ تقول" رغم أننا نتفق مع الاتجاه إلى التفرقة في الاستخدام بين كلمة مكان والموقع لأنها أكثر دقة في التعبير، إلا أننا التزاما في هذا البحث استخدم كلمة " المكان" اتساقاً مع لغة النقد العربي "[4]، فهي من خلال دراستها للمكان في كتابها الرواية تعرف المكان فتقول: " إن مكان الرواية ليس المكان الطبيعي، فالنّص الروائي يخلق عن طريق الكلمات مكاناً خيالياً له مقوماته الخاصة وأبعاده المميزة"[5].

---

[1] حميد لحميداني، بنية النص السردي، ص 63.

[2] ياسين النصير، الرواية والمكان الموسوعة الصغيرة، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ص 18

[3] عبد الملك مرتاض في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد ، ص 121

[4] سيزا قاسم، بناء الرواية(دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ) مكتبة الأسرة، مهرجان القراءة للجميع 2004م، ص 106

[5] المرجع، نفسه ص 104

كما أنها ترى المكان" أنه ليس حقيقة مجردة وإنما هو يظهر من خلال الأشياء المحسوسة لتوضيحها والتعبير عنها"[1]

ومن خلال ما سبق، يمكننا القول أن عنصر المكان حضي باهتمام العديد من النقاد و أولوه عناية وبدراسات قيمة لأن المكان ليس مجرد شكل خارجي أو شكل ثانوي، وإنما هو عنصر فعّال داخل العمل الأدبي.

رابعا: أهمية المكان:

للمكان أهمية كبرى في العمل الأدبي إذ تبرز أهميته من خلال علاقته مع عناصر السرد الروائي الأخرى فهي التي تعكس مدى فاعليته في إضفاء الجمالية على النص المدروس، وترى سيزا قاسم أن أهمية المكان في البناء الروائي تتضح إذا كانت الرواية في المقام الأول فناً زمنياً يضاهي الموسيقى في بعض تكويناته ويخضع لمقاييس مثل الايقاع ودرجة السرعة فإنها من جانب آخر تشبه الفنون التشكيلية من رسم ونحن في تشكيلها للمكان وإن المساحة التي تفصل بين القارئ وعالم الرواية لها دور أساسي في تشكيل النص الروائي.[2]

ويعد كذلك المكان من الركائز الأساسية في الرواية " لا لأنه أحد عناصرها الفنية أو لأنه المكان الذي تجري وتدور فيه الحوادث وتتحرك وقفة الشخصيات فحسب، بل في بعض الأحوال يتحول فضاء يحتوي كل العناصر الروائية من حوادث و شخصيات، ويمنحها المناخ الذي تتفاعل فيه، بحيث يكون هو نفسه المساعد في تطوير بناء الرواية، أي أن العمل الأدبي يفقد خصوصيته وأصالته إذا فقد المكانية.[3]

[1] المرجع نفسه، ص 106

[2] ينظر: سيزا قاسم، بناء الرواية(دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ)، ص 103

[3] مهدي عبيدي، جماليات المكان في ثلاثية حنا مينة، ص 35

لذا يعتبر المكان من مكونات العمل الأدبي المهمة فهو في الرواية بمثابة العمود الفقري الذي يربط أجزاء العمل بعضها ببعض والخلفية التي قد تشكل الرواية التي قام لأجلها النص الروائي، إذا أنه يتخذ أشكالاً ويتضمن معاني عديدة.

يقول ميشال بيتور"Michel Potor " " إن قراءة الرواية رحلة في عالم مختلف عن العالم الذي يعيش فيه القارئ، فمن اللحظة الأولى التي يفتح فيها القارئ الكتاب ينتقل إلى عالم خيالي، من صنع كلمات الروائي، ويقع هذا العالم في مناطق مغايرة للواقع المكاني المباشر، الذي يتواجد فيه القارئ".[1]

حيث تتم مهمته في تجسيد رؤي الكاتب و شخصياته، لذلك فإنه لا يتوقف على أداء وظيفة جمالية محددة وإنما يتعداها إلى احتوائه لأبعاد دلالية مختلفة، لاختلاف أنواعه التي تملي على الشخصية الروائية موقفا ما فيتسع المجال للتفسير و التأويل لذلك" يمثل المكان مكونا محوريا في بنية السرد، بحيث لا يمكن تصور حكاية بدون مكان، فلا وجود لأحداث خارج المكان ذلك أن كل حدث يأخذ وجوده في مكان محدد وزمان معين.[2]

كذلك يلعب المكان دوراً وظيفياً هاماً في تكوين حياة الإنسان وترسيخ كيانه وتثبيت هويته وتأطير طبائعه وبالتالي تحديد تصرفاته وتوجهاته وإدراكه للأشياء، وهذا لكونه أشد التصاقا بحياة الإنسان وأكثر تعلقاً في كيانه، كما أنّ المكان يمد الإنسان بتصوراته ومفاهيمه ويكون دعامة أساسية لكل تصور إنساني.[3]

[1] مهدي عبيدي، جماليات المكان في ثلاثية حنا مينة، ص 103

[2] مُحَمَّد بوعزة، تحليل النص السردي، ص 99

[3] محبوبة مُحَمَّدي مُحَمَّد أبادي، جماليات المكان في قصص سعيد حورانية، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة ، دمشق، 2011، ص 92

يكتسب المكان أهميته من خلال الدور الهام الذي يشكله المكان في تأطير المادة الحكائية، وتنظيم الأحداث إذ يرتبط بخطية الأحداث السردية، بحيث يمكن القول بأنه" هو المسار الذي يسلكه اتجاه السرد وهذا التلازم في العلاقة بين المكان والحدث هو الذي يعطي للرواية تماسكها وانسجامها ويقرر الاتجاه الذي يأخذه السرد لتشيد خطابه ومن ثمة يصبح التنظيم الدرامي للحدث هو إحدى المهام الرئيسية للمكان"[1].

في الأخير نستنتج أن للمكان أهمية بالغة فهو العنصر الرئيسي في العمل الأدبي السردي سواء كان قصصيا أو روائيا، كما أنّه يمثل الهيكل الذي يحمل باقي عناصر السرد ومن خلاله يقدم الكاتب للقارئ باقي عناصر العمل كالزمن والأحداث والشخوص الرئيسية والثانوية وغيرها من العناصر هذا من جهة، و من جهة أخرى فإن حضور المكان في العمل الأدبي يعكس رؤية وايديولوجية عامة يظهر من خلالها تعدد مظاهره وتباينها.

إذاً يمكن القول أنّ للمكان أهمية كبيرة في التكوين الداخلي للرواية.

[1] حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، ص29.

الفصل الأول: التشكيلات المكانية في رواية المتسامح

تمهيد

1/ التشكيلات المكانية

أ/ الأماكن المغلقة

ب/ الأماكن المفتوحة

خلاصة الفصل

تمهيد:

للمكان أهمية بالغة في الرواية، حيث يعتبر المكان عنصرا مهما وأساسيا في بناء العمل الروائي ذلك باعتباره الإطار الذي يكمل الأحداث والوقائع في علاقتها بمفتعيلها، فهو الجوهر والمحتوى ومدار سير الأحداث وتطورها، لهذا يلعب دورا مركزيا داخل منظومة الحكي، لأَن الأحداث الروائية لا يمكن أن تتم في الفراغ ، فالأكيد يجب أن تكون هناك أرضية تسير عليها الشخصيات وهي تقوم بأدوارها وتجري فيها الأحداث.

1/ التشكيلات المكانية:

لعب المكان دورا حيويا في رواية العربية المعاصرة يظهر جليا من خلال اهتمام الرواة بالمكان وذلك لارتباطه الوثيق بمختلف المكونات السردية (السرد، الأحداث، الشخصيات، الزمن،)، إذ لم يعد مجرد مكان تجري فيه الأحداث فحسب، بل تجاوزها إلى أمور أخرى من ذلك دلالة وأثر المكان في نفوس الشخصيات، وارتباط الشخصية بالمكان، هذا ما لمسته في رواية في علاقة بطل الرواية بالمكان قرية "عسلة" وهو مكان مدار الأحداث في الرواية، حيث لعب دورا كبيرا في تكوين شخصية البطل إذ كان له الأثر البالغ في تنشئته كما سنرى فيما يلي، وهنا نتأكد أن للمكان أبعاد ودلالات عميقة.

و بهذا يبدو المكان "كما لو كان خزانا حقيقيا للأفكار و المشاعر و الحدوس، حيث تنشأ علاقة بين الإنسان و المكان، علاقة متبادلة، يؤثر فيها كل طرف على الآخر.[1]

يعد المكان العنصر الأساسي في تشكيل بنية الشخصيات؛ والكشف عنها من خلال علاقتي التأثري والتأثر بينهما وبين المكان. وكذلك يرتبط الزمان بالمكان ارتباطاً شديداً لأن الزمان إطاره لا المناص عنه[2]"

[1] حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي، ص 31.

[2] الشريف جبيلة، مكونات الخطاب السردي، مفاهيم نظرية، عامل الكتب الحديث أربد، ط1، 2014، ص 37.

وقد تباينت الأمكنة في رواية "المتسامح" بين الأماكن المغلقة ومفتوحة، كل حسب دلالته وأهميته داخل المتن الروائي، ذلك أن المكان المفتوح يمثل حيز تنقل وتحرك الشخصيات، في حُين يعد المكان المغلق فضاء ثباتها واستقرارها.

أ/ الأماكن المغلقة:

يكتسب المكان وجودا من خلال أبعاده الهندسية والوظيفية التي يقوم بها أن كانت الفضاءات المفتوحة امتدادا للفضاء الكوني الطبيعي مع تغيير تفرضه حاجة الإنسان المرتبطة،بمآرب متنوعة، فالبيت مسكنه يحميه من الطبيعة ، والمستشفى مكان للعلاج، والسجن فيسلبوه حريته والمسجد فضاء لأداء العبادة... كل هذه الفضاءات يتنقل بينها الانسان ويشكلها حسب أفكاره والشكل الهندسي الذي يروقه ويناسب تطور عصره وينهض الفضاء المغلق كنقيض للفضاء المفتوح .[1]

يقصد بالانغلاق محدودية الأحداث والعلاقات بين الشخصيات إذ " تتعلق بعض الأماكن على العالم الخارجي، وتنعزل عنه، فتشكل قوقعة منغلقة على الشخصيات التي تتواجد فيها بحيث لا تتصل بالعالم الخارجي ولا تستطيع التأثير فيه".[2]

المكان هو المجال التي تنطلق منه الأحداث، وتتحرك فيه الشخصيات وترتبط ارتباطا وثيقا بعنصر المكان ولكن بدرجات متفاوتة" إن سطوة المكان تتعدى في الواقع ما يبدو على السطح من تأثيراتها وفعاليتها المباشرة إلى أعماق التكوين النفسي للشخصيات؛ إذ يصبح هذه الأمكنة قيمة شعورية تعكس وجهة نظر الشخصيات، وتحدد سلوكها وأبعادها الداخلية والخارجية. فيكون للمكان وظيفة رمزية[3].

[1] شريف حبيله بنية الخطاب الروائي، ص 204.

[2] حميد لحميداني، المرجع السابق، ص 72.

[3] علي أحمد عمران، البنية السردية في رواية" دعاء الكروان لطه حسين، المجلة الجزائرية للدراسات الإنسانية، المجلد02، العدد 02، ديسمبر 2020، ص 167.

ومن الأماكن المغلقة التي وظفها السارد وذكرها في الرواية بالتدريج وفقا لتسلسل الأحداث، نذكر منها : البيت، الحجرة ، المدرسة، الثكنة، مركز الأيتام، جبل تمدة.

البيت:

يحتل البيت مكانا هاما .في حياة الإنسان، إذ أن البيت هو مقصد الإنسان بعد يوم من العناء والشقاء والعمل؛ وهو كذلك مصدر الراحة والطمأنينة التي يطمح إليها كل شخص .كما يعتبر من أهم الأماكن المغلقة في الرواية يقع في القرية "عسلة" وهو المكان العائلي الذي كان يقطن فيه.

غالبا ما يكون البيت مصدر آمان وطمأنينة وسكينة بالنسبة للإنسان إلا أنه في روايتنا هذه "المتاسمح" بالنسبة للأمير سجن فهو لا يشعر بالاستقرار والآمان نتيجة فقدان أمه ثم استشهاد والده، بحيث لم يجد من يعوضه ذلك الدفء والحنان الذي فقده بفقدان والديه يظهر ذلك جليا في مطلع الرواية بقوله:" وحشة الليل صرت أهابها من أي وقت مضى، يل إنني والحقيقة تقال كنت أخشاها منذ طفولتي، وأكره معها الظلمة والظلام بل اتعسهما أكثر من أي شيء آخر في الحياة، وحتى الليل في حد ذاته أكرهه".[1]

إذ لا يمكن تصور شعور الوحدة والعزلة التي كان يشعر بها على رغم من وجود إخوانه وأخواته من حوله يقول: " إنني أتضوع الوحدة القاتلة، وأعيش أتعس لحظات العمر، ذلك لأنني كنت لا أجد آنئذ صدرا يسعني ولا قلبا رؤوفا يبعث الدفء في ذاتيتي المدمرة، كما أنه قد يمنحني ذاك الحنان الأمومي أو الأبوي الذي يعطي للطفولة في عمر الزهور مثلي، فما أصعب الوحدة، إنها قاتلة ومدمرة.؟! فانا اليتيم الوحيد في عسلة".[2]

يبرز هذا المقطع افتقاد الأمير لحنان وعطف وحب الوالدين الأمر الذي سيحدث الفارق في حياته كما سنرى في فيما سيأتي في هذا الصدد.

[1] بلحيا الطاهر، رواية المتسامح، دار القدس العربي، وهران- الجزائر، ط1، 2009، ص7.

[2] المصدر نفسه، ص 8.

يسلط هذا النص الضوء على الطفولة واليتم و مسؤولية المجتمع والأهل والأقارب في احتواء الأطفال الأيتام الذين فقدوا والديهم وتقديم الرعاية والحب والاهتمام الأمر الذي يساعدهم على الاندماج والانخراط في المجتمع ويكونوا أشخاص صالحين وايجابيين تجاه انفسهم واتجاه المجتمع.

هذا أقصى ما كان يتمناه الأمير لكن لم يحصل عليه مما انعكس سلبا على شخصيته، وسلوكياته وتصرفاته العدائية اتجاه نفسه وأهله ومحيطه وكل ما يصادف طريقه وكأنه ينتقم من نفسه ومن المجتمع جراء معاناته في الطفولة.

" ها هي الوحدة المميتة تقتلني، وها كوابيس التعاسة تزيدني تشريدا في كل حين من حياتي تلك، وأحسها تدمرني أثناء كل لحظة من لحظات تفردي القاتل ذاك، ولأنني كنت أفتقد إلى أبسط حنان يقدم إلى طفل في سني لا يتجاوز الثانية من عمره فقد كبرت وأنا صغير، شخت وأنا لا زلت صغيرا " هل رأيتم رجلا حقيقيا في سن الرابعة من عمره" وحين لا أجد من يعطف علي ويقربني.. أو يبتسم في وجهي، لا أجد من يقدم لي بعض الود والعطف يزداد تخوفي من تلك الوحشة القاتلة".[1]

يضيف قائلا:" فأنا أفتقد إلى أهم ما يريده الأطفال ويتعلقون به، أفتقد كل شيء ولا أجد شيئا واحد أمام متناول يدي الصغيرة، فقد ماتت أمي الحاجة ميمونة بنت قدور، وأنا لا أزال صغيرا، وكنت لا أتجاوز الثانية أو الثالثة من عمري، وقبلها بمدة قليلة افتقدت أبي الذي استشهد في جبل تمدة الأشم مع الثوار... وعرفت كذلك بأنني لست الوحيد الذي فقد والده في ذلك الجبل، بل إن غالبية أطفال عسلة كانوا يتامى مثلي، إلا أن بعضهم وجد من يشفق عليه، أو يقربه إلى صدره ويحنوا عليه مظهرا تلك الشفقة، حتى وان كانت كاذبة كما تفعل الأمهات مع أولادهن، بل حتى كما تفعل بعض الأخوات أو الإخوة أو المربيات.؟! المهم أن تجدمن يقدم تلك الشفقة ولو كانت كاذبة".[2]

[1] رواية المتسامح، ص 8، 9.

[2] المصدر نفسه، ص 9،10.

كان فقدان حب وحنان الوالدين في سن مبكرة الأثر البالغ والكبير في حياة الأمير لا سيما أنه لم يجد من يعوضه ذاك الحرمان. ومما زاده حرقة وحقد وكراهية تجاه نفسه ومن حوله أن الأطفال من سنه فقدو لأهلهم إلا أنهم وجدو من يحنوا ويعطف عليهم والتي يسميها شفقة و على رغم من أنها في محبة كاذبة ومزيفة في نظره إلا أنه كان يمني النفس أن يحظى بتلك المحبة ولو كان مزيفا.

من ذلك قوله: " ما أصعب ألا تجد قلبا يسعك يسعدك " وما أتعس أن تعيش بدون أبوين حياتك كلها، فذاك دمار نفسي ما بعده دمار .! ستكون حياة واحدة وتوحد وشقاء أبدي".[1]

ثم تحدث عن موضوع الختان التي تعتبر مرحلة مهمة في حياة الرجل، ويعد أسعد يوم في حياة الوالدين والأهل والأقارب.

والتي اعتبرها مكيدة مدبرة وهو في نظره " يوم الختان " يوم لعين وسيء الذي كان له أثر كبير على نفسيته وحياته حتى بعد ما شب وكبر يقول:" لكنني لا أستطيع أن أتناسى ذلك الفجر الرهيب، لا يمكنني أن أتنساه مطلقا.. فقد كان فجر يوم جمعة ثقيل ككل الجمع.. جاء قائضا من بداياته الأولى.. لأنه يقع في شهر غشت الساخن جدا عندنا في عسلة.. أتذكره لحظة بلحظة، لأنني عشته بتفاصيله.. إنه ذاك الفجر اللعين، الذي كانت قسوته على قلبي أشد قسوة عانيتها في صغري وكبري على السواء. ولو أنني كنت أعلمه لما بقيت في ذلك الحوش الخرب، بل في عسلة اطلاقا..![2]

فقد أهرب خارجها بجلدي لكي لا أتعرض لتلك القسوة التي ما بعدها قسوة..[3]

يوضح هذا النص المقتبس الأثر الكبير والبالغ لعملية الختان في نفس الأمير لدرجة أنه فكر وخطط للهرب من البيت بل من القرية كلها كي لا يتعرض لتلك العملية التي في نظره "قسوة ما بعدها قسوة".[4]

[1] رواية المتسامح، ص 10.
[2] المصدر نفسه، ص 48.
[3] المصدر نفسه، ص 48.
[4] المصدر نفسه، ص 48.

ثم تحدث عن تفاصيل ذلك اليوم اللعين على حد قوله بقوله: " حتى قبل أن نفتح أعيننا في فجر ذلك الصبح اللعين الذي ترك بصمته على بقية عمري.. احسست حينها بأن هناك مكيدة تدبر لنا، استشعرتها عملية بعد نهوضي مباشرة من نومي... إذ بعد أن فتحت عيني عليهم أحسستهم يتحفزون لفعل أشياء أجهلها، لكنني احسست بأن أمرا يدبرا لنا، تجاهلت في بداية الأمر ما يحدث ولم أستطع أن أتعرف عليها إلا بعد رأيتهم يجرجرونا إلى بيت الضيوف حيث وجدنا مجموعة كبيرة من الرجال يلتحقون حول السي الطهار كما نناديه في عسلة.[1]

وأضاف قائلا: " فبعد أن رأيتهم يتحلقون حوله، أدركت أنه اليوم المرتجي، ذلك اليوم الذي كانت أختي الكبرى تخوفني به... وقد سكنتني هواجس حول هذه العملية حتى قبل أن يصل دوري وقررت منذ مدة بعيدة بأن أهرب نهائيا من البيت عندما أدرك أنهم سيقومون بها".[2]

الحوش الفسيح:

يقول" فعندما كنت أعود إلى الحوش الفسيح الخرب، لا أجد أحد يستقبلني هناك ككل الأطفال، لا أجد أي أحد ينظر إلى حالتي الكئيبة، أو يقبلني بحنان يشبه حنان أمي، أو بعطف يشبه عطف أبي أو حتى من يقوم مقامهما ككل الأطفال الذين كانوا كحالتي، أنا اليتيم، تلك حقيقة يجبر أن أصدقها وأعيش اليتم بكل معانيه، ما أتعس اليتم.؟! [3]

وأضاف قائلا معبر عن شعوره عند دخوله إلى البيت : " أمر فظيع ذلك الجفاء الذي كنت أجده ينتظرني في حوشنا الخرب" حوشنا هذا فيه خراب رهيب منذ بني قبل مئات السنين كما أتصور، هو تماما كنفسيتي المتألمة دوما فأنا في هذا السن المبكرة ، ولا أجد أمامي حضوة الوالدين لأعانقهما".[4]

---

[1] رواية المتسامح، ص 50.

2 المصدر نفسه، ص50، 51.

[3] المصدر نفسه، ص 10.

[4] المصدر نفسه، ص 10.

الكُتَاب (الخربيش):

حلقة تعليم القرآن الكريم وتحفظيه في المسجد حيث يشرف حافظ القرآن سواء كان إماما أو حافظا على تعليم وتحفيظ القرآن الكريم للصغار وهو من الأمور المتعارف عليها في المجتمع الجزائري حيث يحرص الأهالي على تعليم أولادهم القرآن الكريم منذ الصغر.

استهل كلامه في هذا الشأن بمعلم القرآن وكيفية تعاملة من الأطفال في تحفيظ القرآن والتي لا يذكر منها إلا القوة والضرب يقول: " كان معلم القرآن ينهال عليّ ضربا بالعصا إلى درجة فظيعة.. يضرب " الفقلة" ويضرب ولا يتوقف ذلك " القوراري الأسود" كان يقسو ويقسو ويضربني ضرب الابل.. لكنني كبرت، ووقفت على قبره، قلتها أمام الكثير من أهل عسلة. " لقد سامحته على ظلمه لي".[1]

ثم تحدث عن شعوره تجاه المعلم ومعلمي القرآن الكريم ككل يقول: " كرهت جميع معلمي القرآن بل حتى من يرتدي العمامة والبرنوس الأبيض الشبيه بمعلمي القرآن وظلت ملامحه تخيفني إلى مدة طويلة – كنت أتصور أن من يكون على هذه الصورة سيعيش مجرما دوما وعصاه الرقيقة تؤلم كثيرا.. بل هو بالنسبة لي سفاحا مجرما ومثيرا للكراهية، فهو لا يرحم أحد مهما كان وهو الذي جعلني أقسم بألا أحفظ شيئا من القرآن الكريم، نعم لقد أقسمت بألا أحفظ شيئا منه، لكنني حفظته كله.![2]

في غالب الأعم هكذا يتم تعليم وتحفيظ القرآن الكريم إذ الهدف منه حث الأطفال على حفظه ومنه تهذيب النفس والسلوك وليس لمجرد الضرب فقط. تبقى هنا استجابة الطفل لطريقة معلم القرآن من عدمه، وفي الحالة التي لدينا "الأمير" لم يستجيب لطريقة التعليم هذه مما أدى به

[1] رواية المتسامح، ص 26.
[2] المصدر نفسه، ص 26، 27.

إلى الانقطاع عن الكُتَّاب، إلا أنه حفظ القرآن الكريم كله لقوله: " جعلني أقسم بألا أحفظ شيئا من القرآن الكريم، نعم لقد أقسمت بألا أحفظ شيئا منه، لكنني حفظته كله.![1] .

" وفعلا لم أحفظ الكثير منه في تلك الفترة الأولى فنتيجة الضرب المبرح الذي تعرضت له من طرفه قررت الانقطاع عن الذهاب إلى الكُتَّاب " الخربيش" كما نسميه في عسلة."[2]

المدرسة:

و هي من الأماكن المغلقة، و نقصد بها في أولى مراحل التعلم المدرسة الابتدائية، والتي يقضي فيها التلميذ ست سنوات يتعلم فيها القراءة والكتابة والإملاء والحساب والأهم من ذلك التربية حيث تعمل المدرسة على صقل القيم الإنسانية والأخلاقية في أنفس التلاميذ حتى يكبروا عليها وتكون نبراس حياتهم.

شكلت المدرسة مرحلة مهمة من حياة الأمير حيث انعكست طفولته البائسة على تعاملة مع المدرسة وأقرانه ومعلميه وكرست فيه قيم الحقد والكراهية أكثر من ذلك ما جاء على لسان الأمير" في المدرسة صرت أنا السيد الأوحد، يهابني الجميع ويخشاني الأقران.

"المعلمون أنفسهم أظهرت أمامهم بعض الاحترام المزيف..." لكنني أكرههم جميعهم أشد كراهية، وأحاول قدر الإمكان أن أفعل المكروه في المدرسة بدون استثناء كنت أمقتهم، وربما كانوا يعرفون حقدي عليهم، وما أواريه نحوهم.

أتظاهر دوما بأنني أهتم بالدراسة... لكني ألعنها يوميا، وعندما كنت أرى معلما يحمل حقيبته، يذكرني فورا بالمدرسة، فأسبه وأشتمه في قلبي خوفا من عقوبته، هم تماما كمعلم القرآن لا يشفقون علينا، يعتمدون الضرب المبرح، ولا أجد أمامي شيئا إلا وكان مآله التكسير أو الحرق،

[1] رواية المتسامح، ص 26، 27.
[2] المصدر نفسه، ص 27.

كنت عفريت المدرسة وشيطان الساحة".[1]

تحدث الأمير عن طريقة التعليم وكيف كان للمعلم رهبة وهيبة بحيث يخشاه التلميذ ويدرس خوفا من العقوبة، حيث شبه طريقة التعليم في المدرسة بتعليم القرآن في المدرسة القرآنية.

ثم تحدث عن سلوكه داخل المدرسة لاسيما فترة الاستراحة بقوله: " إذ لا يتذكر أحد يوميا ، بأن تلك الفترة القصيرة جدا " ربع ساعة" المخصص للاستراحة قد مر على خير، كانت تنتهي بمشاجرة أو بكارثة، حتى أن بعض المعلمين لا يسمحون لي بمغادرة الحجرة، خلال الاستراحة لأنهم يعرفون مسبقا بأنني سأرتكب حماقة ما بعدها حماقة، ولكي لا أقوم بحماقة يحرسني بعض المعلمين حراسة خاصة، فمنذ أن أغادر حجرة الدرس، أرى العيون مصوبة نحوي، لمراقبة ما سأقوم به، ومع ذلك ألطم هذا، وأضرب الآخر، واتفل على الذي يقترب مني، وأركل من أجده في طريقي " عفريت مجنون، ويتيم وسخ ".[2]

في هذا المقطع إشارة منه إلى أنها فترة تنتهي بمشاجرة دوما بحيث لا تمر مرور الكرام،

ساحة المدرسة:

تعد ساحة المدرسة مسرحا لمختلف الأحداث في المدرسة ومكانا مميزا بالنسبة للراوي لأنها متنفس بالنسبة إليه على حد قوله:" صرت أنا السيد الأوحد يهابني الجميع ويخشاني أقراني" فهي ساحة معركة ومبارزة.[3]

يقول: " أما أحد الفتيان فقد تحداني يوما في ساحة المدرسة وقد تم الاتفاق بأن نقوم بمصارعة على طريقتنا في عسلة، وهو خصام وعناد انتحاري عنيف جدا، لكنه اشترط على شرطا واحدا أمام الفتية، وهو ألا أضربه برأسي، أي لا استعمل معه عملية النطح التي كانت تخوفهم فوافقت على الفور لأنني كنت متشوقا دوما الخصومة العنيفة، مع أنه سلبني حقا كان سببا في

[1] رواية المتسامح، ص31.
[2] المصدر نفسه، ص 32،31.
[3] المصدر نفسه، ص 31.

تفوقي على أقراني جميعهم، إلا أنني وافقت على ذلك الرهان، وعندما خرجنا من حجرة الدرس، وتوجهنا إلى الساحة الخلفية لحقنا الفتيان والفتيات، والكل يردد:

" لقد اشترط عليه بألا يستعمل معه عملية النطح.. وقد وافق على ذلك الشرط.!" تبعنا الجميع إلى الجهة الفارغة لخلفية الساحة كل الأطفال يهتفون بأصوات عالية وكأنهم يعلنون عن بداية معركة لا بداية لها ولا نهاية يتصايحون بأعلى الأصوات".[1]

" سوف لن يستعمل النطح .." قلت في نفسي أن لست كبشا لكنني اليوم سأريهم عملية أخرى، ذلك لأن هذا الفتى المسكين أذكره بخير لم يتفطن إلى ذراعي المفتلتين اللتين صنعتهما جيدا خلال سنوات المزبلة، إنهما ذراعان قويان قوة أهل البدو، لكنني لا استعملهما كثيرا مع الأطفال لأن عملية النطح تسهل على الضرب المبرح لخصومي... ".[2]

يبرز هذا المقطع سلوكه العدواني والعدائي اتجاه أقرانه وزملائه ومعلميه بحيث لم يسلم منه الكبير قبل الصغير، كما يظهر جانبه القوي وبنيته الجسمانية وتمكنه في فنون القتال. يظهر ذلك جليا في قوله: قد لطمته باليسرى، وأضفت إليه اليمنى المشفوعة بشيء من الحقد عليه وعلى والده الذي كنت أسبه وأشتمه كثيرا وأكثر له من الشتائم دون سبب يذكر وعندما وصل المعلمون إلى مكان المبارزة وجدوه ساقطا على الأرض والدم ينزف من فمه وأنفه، كان المسكين مسجى على نقا الرمل المتسرب إلى خلفية المدرسة".

" بدأ يشخر، ويشخر، حتى أننا خفنا من أن يموت." ثم أفاق عندما رماه أحد المعلمين بدلو ماء بارد، حينها حمدت الله، وقلت سوف لن أعيدها مرة أخرى.[3]

[1] رواية المتسامح، ص 33.
[2] المصدر نفسه، ص 33، 34.
[3] المصدر نفسه، ص 34، 35.

المسجد:

لعب المسجد دورا إيجابيا وسلبيا في الرواية وحتى في حياة الأمير حيث كان المسجد منبر للدعوة إلى الاهتمام بالأطفال اليتامى لا سيما أبناء الشهداء، إذ يقع على عاتق المجتمع الاهتمام بأبناء الشهداء ورعايتهم ومرافقتهم لكون والديهم وذويهم قضوا نحبهم ذودا عن الوطن من جهة .

من ذلك قوله: " وقف في مسجد القرية وقال أمام الجميع في عتاب واضح: " لقد قدم الشهيد نفسه لكي تعيشوا سعداء، وتهملون ابنه الصغير.." لقد وبخ ساكنه القرية، وقال لهم لائما: " بأنكم مقصرون في حق الشهداء، يجب أن تقدموا أبنائهم على أولادكم." فلم يرد عليه أحد ا، أحسوا بأنهم أخطئوا في حقي وفي حق والدي الدي مات من أجل راحتهم."[1]

أما الجانب السلبي فيتمثل في استعمال المسجد للدعوة إلى التطرف والعنف، اين اتخذوا الإسلام مطية لترويج لأفكارهم وتوجهاتهم المتطرفة وبالتالي إيجاد سند وقاعدة متينة لتلك الأفكار قصد التأثير على عقول الناس وجذبهم نحوهم بحجة الإسلام ك الصلاة و الجهاد والشهادة والفتوة مثلا.

من ذلك قوله: " المجاهد ليس انسانا عاديا وأن يضع كل واحد منهم حصية في جيبه ليتيمم بل اعتبرته من ضمن السلاح الذي يجب أن يرافق المجاهد حيثما تواجد حتى أن بعض الذين استشهدوا في ساح الوغى من أحبابنا، ضد الطاغوت جعلوا الطواغيت يتعجبون من وجود حجر صغير في جيوبهم لأنهم لا يدركون بأن المجاهد " يجوز ما لا يجوز لغيره.." هؤلاء جهلة في مسائل الشرع." ولا أعتقد بأنهم يفهمون شيء في الحياة.[2]

يضيف قائلا: " فسواء أعضاء الحرس البلدي أو جندرمة الدرك أو الشرطة فهم كلهم لا يصلون وقد قتلنا منهم الكثير فيما مضى وغنمنا أسلحتهم وعتادهم وألبستهم، وكل ما بأيديهم وأصدرت أمرا لجميع المجاهدين بأن يكونوا مسلحين بجميع ما يلزمهم وأن تكون لحاهم طويلة دليل

[1] رواية المتسامح، ص 95، 96.

[2] المصدر نفسه، ص 266.

جهادهم بل إنني في خطبة الجمعة الأخيرة خصصت الدرس والخطبتين لفوائد اللحية حتى أنني أفتيت بأن الوجه الذي لا تسمه لحية هو وجه "كافر مرتد يجب قتله."[1]

الحجرة:

كان لحياته البائسة في طفولته والظروف التي نشأ فيها وكل ما مر عليه في حياته اتخاذ قرار حاسم يتعلق بحياة بناته .

بحيث لم يشأ أن تمر ابنتيه فلذات كبده بما مر به هو في حياته، إذ المجتمع في نظره مجتمع فاسق سيجرهم إلى مستنقع الجريمة لا رجعة منه.

نتيجة لما سبق اتخذ أصعب قرار في حياته وهو التضحية بفلذات كبده " ما أصعب أن تضحي بفلذات الكبد.!"[2] خوفا عليهم هذا المجتمع الفاسق ومن محبته لهما " ضحيت بالبنتين لأن هذا المجتمع الفاسق سيأخذهما إلى أتون الجريمة التي لا أريدهما الوقوع فيها، لذلك اخترت أن تذهبا إلى بارئهما طاهرتين نقيتين، ستسكنان الجنان الوارفة هناك في النعيم الخالد".[3]

يضيف قائلا: " لقد أحببتهما أكثر من أي شيء في الوجود من لا يعرف الأبوة لا يعرف شيء في حياته".[4]

قال في ذات السياق: " لأنني أحبهما، أردت أن تخليصهما من هذا المجتمع اللعين، المجتمع الذي كثرت فيه المفاسد."[5]

ثم تحدث كيف يمكن للإنسان أن يتخذ قرار ضد رغباته وإرادته، إذ ليس بالقرار الهين لكن قناعته ويقينه بفساد وفسوق المجتمع جعله يقدم على ذلك الفعل.

---

[1] رواية المتسامح، ص 266.
[2] المصدر نفسه، ص 299.
[3] المصدر نفسه، ص 298، 299.
[4] المصدر نفسه، ص 299.
[5] المصدر نفسه، ص 299.

"أغلقت الباب وانصرفت وكأن شيئا لم يقع، وكأنني لم أقدم سما لأحب ما عندي في الوجود، عادة ما يقدم الانسان على فعل ضد إرادته"[1]

وأضاف قائلا: " أذكر جيدا أنني وبعد أن قدمت العصير إلى للبنتين وأغلقت عليهما حجرتهما التي كنت جهزتها لهما للقراءة والنوم ووضعت لهما تلفزة صغيرة لمتابعة الأغاني الغربية حسب ذوقيهما، أضفت لهما مسجلا للتسلية واللعب بالكلمات وتزجيه الوقت الضائع.[2]

المطبخ:

كان مسرح جريمة بشعة راحت ضحيتها " زقوقن" كما يسميها زوجة الأمير حيث حدثنا الأمير عن الحوار الذي دار بينه وبين زوجته قبل أن ينفذ مهمته الأخيرة من ذلك قوله:

" فقد توجهت صوب المطبخ وجدتها تعد الشاي على الطريقة التي علمتها لها.

تعجبت في بداية الأمر لأنها لم يسبق بها وأن رأتني في المطبخ، أنا رجل لا أتردد على المطبخ نهائيا، بل لا أدخله البتة، لأني أقضي ساعات طويلة أمام كتبي أقرأ التفاسير و أحفظ الكثير من كتابات شيخ الإسلام ابن تيمية وأقرأ بعض الفتاوى التي تصدرها مرجعيتنا كذلك، لا حظتها تعجبت عندما رأتني أدخل عليها المطبخ، ولعلها لاحظت تشنجي في بداية الأمر لكنني أوهمتها بأنني أريد أحضر الشاي بطريقة أكثر جودة وأكثر فيه النعناع وقد آخذ بعضه للبنات لأنهن بصدد تحضير الامتحانات المقبلة."[3]

ثم جاءت اللحظة الحاسمة لكن قبل ذلك أخبرها بأنه قتل ابنتيه بدم بارد انتقاما منها على ما قامت به اتجاهه " اقتربت منها أكثر لكي أزيد من تعذيبها .. وأردفت : " لقد قتلت البنتين الكبيرة والصغيرة على السواء.."[4]

---

[1] رواية المتسامح، ص 299، 300.

[2] المصدر نفسه، ص 301.

[3] المصدر نفسه، ص301، 302.

[4] المصدر نفسه، ص303.

ليزيد من معاناتها أردف قائلا:" الآن سأتوجه إلى أبويك وإخوتك لأقتلهم بطريقة شنيعة.. فأحسستها وكأنها تريد أن تستجديني، ها هي أخير تعلن الاستجداء".[1]

كانت هذه لحظة نصر انتظرها طويلا لقوله: " لقد هزمتها، فهي لم تفعل ذلك طوال حياتها مع أنها خلال حياتها الشقية لم تفعل ذلك".

ثم حانت اللحظة الحاسمة "إزهاق روحها" يقول: " لقد تغير لونها بعد أن أفرغت من دمها الذي كان يملاء المطبخ صار كله أحمر قان، ومع أنني قتلت قبلها عدة أشخاص ذبحا لم أكن أعرف بأن الإنسان قد تجري في عروقه دماء كثيرة بهذا الشكل فخلال دقائق قليلة امتلأت جوانب المطبخ بدم كثير هو دم فاسد ما في ذلك شك بدأ يتسرب إلى الجهات كلها".[2]

" عندما قررت أن أسيح في سبيل الله كانت أول فداء أتق به من الله فأن أذبحها بطريقة في غاية البشاعة ليس معنى ذلك أنني كنت أحقد عليها فحسب، أو أنني كنت أكرهها إلى درجة ألا يمكن أن أغفر لها أخطاءها معي، بل لكي أثبت بأنني رجل مخلص للعقيدة والعقيدة فقط، فالرجل المخلص هو الذي يتقرب بعائلته ومقربيه، وعلى ذلك المبدأ ذبحتها وسممت البنتين ذلك تقربا إلى الله".[3]

يظهر هذا النص التطرف الفكري والديني عند المتطرفين " الاهابيين" حيث اتخذوا الدين لهو وهزؤ يفصلونه على مقاس أفكارهم وتوجهاتهم المتطرفة، والإسلام بريء منهم، هذا ما حرصت هذه الرواية على إبرازه من مطلعها.

[1] رواية المتسامح، ص303.
[2] المصدر نفسه، ص 303.
[3] المصدر نفسه، ص 297، 298.

مركزالأيتام:

هي مراكز بنتها الدولة وخصصتها للأطفال الأيتام الذين فقدو أهاليهم يكون مأوى لهم يوفر لهم المأكل المشرب والمبيت والتعليم إلى سن معينة، ثم ينصرفوا لشؤون حياتهم.

يعتبر هذا المكان من بين أبرز الأماكن والمحطات الأساسية ونقلة نوعية في حياة الأمير في روايتنا هذه.

بدء هذا التغيير في حياة الأمير بمجرد سماع الخبر بحيث هو نفسه متعجب من هذا التغيير لقوله: " كنت لا أتجاوز العاشرة من عمري عندما وصلني ذلك الخبر الذي بدل حياتي كلها، لقد جعلها تتغير رأسا عل عقب بحيث صيرني هذا الخبر السعيد أتبدل جذريا .. بل هو مجرد خبر جديد أصبح بسببه إنسان آخر" من قال بأن الفرد يتبدل في كل شيء" حتى في سلوكه وسيرته".[1]

يضيف قائلا: " نعم هو خبر مغير صرت إنسانا غير الذي كنته في عسلة، إنه مجرد خبر لكنه أسعد ما سمعت في حياتي كلها. فقد جاءنا حينها وكأنه "ليلة القدر" التي تنزل على الأشقياء فتبدل حياتهم كلية.[2]

نلحظ من هذا النص كي كان تأثير الخبر على نفسية وتفكير الأمير الذي بدأ يبحث عن كيفية الالتحاق بهذا المركز، الذي رأى فيه فرصة للاندماج في المجتمع وفرصة لا تضيهها فرصة لإصلاح نفسه وعلاقاته مع أهله ومحيطه.

يقول: " الدولة جهزت مركزا للأيتام يجمع شتات أبناء الشهداء "المشردين اليتامى والفقراء.." والحقيقة أن أبناء الشهداء يتامى منبوذين، وخاصة الذين فقدوا الأبوين معا كحالتي. و مركز يعيد تعليمنا من جديد. ويمنحنا فرصة للاندماج في أسلاك التعليم المختلفة، والحقيقة إنه يعيد تربيتنا من جديد لعلها كانت فكرة الرئيس الراحل".[3]

[1] رواية المتسامح، ص 101.
[2] المصدر نفسه، ص 101.
[3] المصدر نفسه، ص 101.

و من شدة فرحته بهذا لم ينم تلك الليلة لأن أمله كان كبيرا في هذا المركز فقد رأى فيه فرصة للتعليم والتربية الخبر " مركز يعيد تعليمنا من جديد... والحقيقة إنه يعيد تربيتنا من جديد ".[1] قال معبر عن فرحته : " أنذكر حينها أنني لم أنم ليلتها... فكرت كثيرا في الأمر وبدأت أحلم.. وبعد تلقي هذا الخبر السعيد تشربته جيدا، إنتابني شعور النجاة من هذا الجحيم الذي أعيشه.. من تلك الإهانة التي كنت ألقاها من طرف أهل عسلة. إنه الشعور الذي كان يسيطر على كياني".[2]

" لقد هجرني النوم وأصبحت منشغلا به، لا أفكر إلا في كيفية الالتحاق بهذا المركز الموجود في مدينة سعيدة، بعد أن ألغيت فكرة الالتحاق بالمركز العسكري الذي أتخرج منه ضابطا في يوم من الأيام".[3]

الثكنة:

هي مقر عسكري تابع للسلطات العسكرية عموما، منها ما يعود إلى سلطات الاحتلال الفرنسي " الجيش الفرنسي" أثناء احتلالها الجزائر، ومنها ما يرجع إلى السلطات العسكرية الجزائرية.

الثكنة العسكرية الفرنسية:

سلط فيها الضوء على معيشة ضباط الاحتلال وكيفية تعاملهم من سكان القرية يقول: " هم تأتيهم تلك المأكولات من مصدرها، فآبائهم يعملون داخل الثكنات الفرنسية التي تمنحهم خيرات كثيرة لأطفالهم ، أما نحن فنتقاتل من أجلها في المزبلة، هناك يظهر الرجل الحقيقي الذي يستطيع أن يستحوذ على الأحسن والأكثر و الأوفر.!"[4]

[1] رواية المتسامح، ص 101.
[2] المصدر نفسه، ص 102.
[3] المصدر نفسه، ص 103.
[4] المصدر نفسه، ص 77.

الثكنة العسكرية الجزائرية:

تحدث في الشأن على وجه الخصوص عن العشرية السوداء التي عصفت بالجزائر مطلع التسعينات، حيث كانت الجماعات الإرهابية تقوم بهجمات على الثكنات العسكرية ونصب الكمائن والمكائد للجيش الجزائري، من ذلك ما جاء على لسان الأمير" ...لكن مع ذلك الحذر واجب والأمان منعدم هنا لأن الطواغيت قد يخطر ببالهم ما لا يخطر ببال الشياطين. الطواغيت شياطين. هم أنفسهم شياطين وعفاريت لا يصلون ولا يصومون ولا يفعلون إلا المنكرات التي حرمها الله، فقد يصلون إلى منحدر الجبل فجرا، ويحاولون التسلق للوصول إلى مكاننا لكنني متأكد من أنهم لا يغامرون، لأنهم يدركون بأنني سأبيدهم عن بكرة أبيهم... سيبقون هناك في ثكناتهم إلى أن أذهب إليهم وأذبحهم في مضاجعهم".[1]

كما تحدث في موضع آخر عن عملية قام ضد الجيش أو كما يسميهم " الطواغيت" بتواطؤ أفراد من ضباط الجيش، يبرز هذا النص المقتبس اختراق الإرهاب لأجهزة الدولة عبر اقناع ضباطه وأعوانه بالفكر المتطرف. يقول" هي العملية نفسها التي قمت بها في ثكنة كانت على مقربة من مدينة سعيدة فقد ربطت علاقة وطيدة بثلاثة ضباط من الثكنة عن طريق عناصري الذين كانوا يعرفونهم، وسبق لهم أن كانوا معهم في الثكنة نفسها، اتقيت بهم عدة مرات وخططنا جيدا لعملية يجب أن تكون ناجحة والحقيقة أنها كانت كذلك من أنجح ما قمت به في تلك المنطقة... فقد وضعوا منوما استقدمته لهم من الصيدلية كنا قد اقتحمناها منذ أسبوعين في حدود منتصف الليل وجدتهم ينتظروننا في مدخل الثكنة، ولأن دربة المجاهدين كانت عالية فيما يتعلق بهذه الطرق، فقد تسلل عناصر كتيبتي وذبحوا أكثر من سبعين عسكريا، وأخذنا كل ما أردنا من ذخائر وأسلحة خفيفة ومتوسطة".[2]

[1] رواية المتسامح، ص 261، 262.

[2] المصدر نفسه، ص 280، 281.

ب/ الأماكن المفتوحة:

ويقصد بالانفتاح احتواء المكان على نوعيات مختلفة من السير، وكثرة الأحداث الروائية وتنوعها، بحيث " تنفتح بعض الأماكن على العالم الخارجي وعلى تعدد الشخصيات التي تتفاعل بينهما، منتجة علاقات اجتماعية ".[1]

ومن الأماكن المفتوحة التي وظفها السارد وذكرها في الرواية بالتدريج وفقا لتسلسل الأحداث والتي كانت مسرحا لمجموعة من الشخصيات ، نذكر منها : المدينة، القرية، الصحراء، المزبلة.

جبل تمدة:

تكتسي الجبال أهمية بالغة عند الجزائريين لا سيما في فترة الثورة الجزائرية حيث كانت تسهل على الثوار الاختباء فيها، ثم الاغارة على العدو ولأن مسالك الجبال صعبة فإنه يصعب على جيش الاحتلال الوصول لتلك المناطق الوعرة، و الجبل في رواية المتسامح يحمل دلالات متعددة الإيجابية والسلبية.

شهد هذا الجبل " تمدة" معركة دامية بين الثوار الجزائريين و الاحتلال الفرنسي وفيها استشهد والد وأخ الأمير " افتقدت أبي الذي استشهد في جبل تمدة الأشم مع الثوار، وحين كبرت قيل لي بأنهم كانوا هناك يتصدون للعدو الفرنسي، وفي هذا الجبل الذي كنا نسميه قلعة الأبطال سقط شهيدا في ذات شتاء هو وأخي الأكبر أحمد، قيل بأنه كان يتوسد " العشارية" بندقيته المحببة وبجانبه أخي الأكبر السي أحمد الذي استشهد قبله بدقائق، هكذا قيل لنا".[2]

[1] حميد لحميداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، ص 72.

[2] المصدر نفسه، ص 9.

يحتل هذا الجبل مكانة بالغة الأهمية في نفس وحياة الأمير يقول: " عندما أجلس في أعلى قمة جبل تمدة، مكاني المحبب، أرى أمامي الأشياء على حقيقتها، فمن ذلك المكان المرتفع الشاهق يبدوا هناك جميع ما يحيط بنا واضحا لا زيف فيه".[1]

ويضيف قائلا: " هذه القمة الجبلية الشاهقة هي قمة محببة إلى قلبي لا أدري حتى الآن لماذا أفضلها بهذا الشكل؟ ربما لأنها تجعلني أرى كل شيء على حقيقته...[2]

الصحراء:

الصحراء هي " عمق ثقافي معتقدي لأبناء المنطقة العربية لذلك تفاعلت معها الرواية العربية بعمق وشمولية".[3]

تحدث عن طبيعة سكان قرية عسلة حيث شبههم بالصحراء في قساوتها وطبيعة سكانها ومعيشتهم يقول:" إخوتي بطبعهم جفاة غلاظ شداد فهم يمارسون بدويتهم وسليقتهم العروبية، لكونهم خلقوا هكذا على تلك الطريقة الجافية، وتربوا على هذه الغلظة في تصرفاتهم أو ربما لأننا أعراب رحل، لا نعرف إلا حياة الصحراء ورعي الابل، والسهر على تربية المواشي فهم لا يداعبون أطفالهم، ولا يلاعبون نساءهم، فكيف أطلب منهم أن يتخذوا مني ابنا لهم أو مقربا".[4]

ثم تحدث عن أصوله "أجداده الأوائل" الذين كافحوا ضد الاستعمار اين استحضر بطولاتهم في مواجهة الاحتلال الفرنسي يقول:" عائلتي تبدو للوهلة الأولى غريبة عن عادات الناس في عسلة لأننا أصلنا لسنا من ساكنة عسلة المتجذرين بها ولسنا من البربر الذين فتحوا أعينهم على المناطق التي تحيط بها الجنان من كل الجهات، فقد ولدنا في تلك الجبال التي لازلت أذكر أسماءها واحد واحدا من (تمدة، وخنيق الحدا، والجبل الأحمر، وبسباع وشعبة الموت)... ربما يكون الشهيد

[1] رواية المتسامح، ص 235.

[2] المصدر نفسه، ص 236.

[3] صالح إبراهيم، الفضاء ولغة السرد في روايات عبد الرحمان منيف، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1 ،2003 م، ص14.

4 رواية المتسامح، ص 21.

رحمه الله قد هرب بنا من تلك المنطقة المتوغلة في العرق الصحراوي الكبير... إن جذورنا تعود إلى إحدى أفخاذ أولاد سيد الشيخ، الابطال الميامين، الذين دوخوا الاستعمار الفرنسي في نهاية القرن التاسع عشر، وأحد جدودي هو الذي طعن " بوبتير" قائد الغزو الفرنسي... ولأنه رحمة الله عليه مطاردا من طرف العدو المستعمر هناك في صحرائنا المتوغلة في العرق الغربي".[1]

ثم تحدث عن شخصية وطبيعة الرجل الصحراوي البدوي قائلا: " الآن فقط بدأت أعرف بأننا مجرد بدو رحل وأن أغلبنا نجرد رعاة الابل، لكوننا عرب أقحاح قادمون من شبه الجزيرة الحجازية مع رمال الصحراء، نحن رحل جفاة غلاظ شداد . ثم متمردون بالسليقة على أنظمة الحكم الاستعمارية، وقد جئت مثلهم وشبيها بعاداتهم وفطرتهم الأولى، خصوصا في هذه الطبائع المتوحشة الغريبة عن أهل الحجر ولكن مع ذلك فإن إخوتي كرماء نبلاء، أعتز بذلك ولا زلت، هي صور من خصالهم الكثيرة، ومن شيمهم الرائعة، " جفاة قساة" لكنهم رجال بكل معنى الكلمة".[2]

لعل هذا ما يفسر سلوك وتصرفات الأمير العدوانية تجاه من حوله.

ثم تحدث عن الصحراء مرة أخرى لكن هذه المرة مسترجعا ذكريات الماضي يقول: " الآن وبعد مرور أكثر من عشرين عاما .. مسافة ربعت قرن، بعد كل هذه المدة الطويلة المريرة، زمن يتم وتفرد وانقضى من حياتي، أكاد لا أتذكر جيدا وفي هدوء عميق وتام أتذكر مليا كيف صفرت الريح في تلك الأودية والسهوب القاحلة، بل وكيف ضربت العواصف الرملية القادمة من عمق الصحراء بكل شراستها وأنينها الموجع، وبرمال عواصفها الهوجاء الكاسحة".[3]

[1] رواية المتسامح، ص 22.
[2] المصدر نفسه، ص 23، 24.
[3] المصدر نفسه، ص 137.

القرية:

هي فضاء مفتوح، ضمت شخصيات كثيرة في الرواية وأحداث مهمة، حيث تمثل فضاء الطفولة للشخصية الرئيسية حيث لعبت هذه الأخيرة دورا أساسيا ومؤثرا في تكوين شخصيته. حيث تعد من الأماكن الرئيسية في الرواية.

نشأ الأمير وتربى في عسلة من ذلك قوله:" كانت نشأتي كلها في عسلة ومتاخمها القريبة المزبلة وما يحيد بها من جنان في عسلة وفراغات الأماكن الخربة التي كنت أسكنها دوما، فمجتمعنا هناك مجتمع رجولي ".[1]

لعبت القرية "عسلة" دورا كبيرا في حياة الأمير حيث ساهمت الحياة التي عاشها فيها في بلورة أفكار ومعتقدات وشخصية الأمير التي ستعرف تطور كبير في الرواية من ذلك قوله: " فأنا اليتيم الوحيد في عسلة، الذي عشت مشردا شقيا، ها هي الوحدة المميتة تقتلني، وها كوابيس التعاسة تزيدني تشريدا في كل حين من لحظات حياتي تلك".[2]

أدى اليتم الذي شعر به فقد فقدان والديه في سن مبكرة وانعدام من يحتويه ويحنوا عليه من ساكنة القرية في تعزيز شعوره بالوحدة القاتلة على حد وصفه جعلته ينتقم من نفسه وأهله ومحيطه، حيث لقب " بالعفريت الأحمر ذلك قوله:" فطوال حياتي كنت مقاوما شرسا لجميع المهالك التي تعترض سبيلي وما أكثرها، فغيرة الصغار صعبة، إنها مهلكة لا أستطيع اطفاءها إلا بالانتقام من الآخرين، بل الانتقام من أي انسان أجده أمامي مهما كان، وقد تحولت تلك الغيرة مع الأيام إلى حقد دفين عليهم كلهم وعلى الجميع ، ربما حتى على الأهالي كلهم ولدون استثناء".[3]

1 رواية المتسامح، ص 45.

2 المصدر نفسه، ص 8.

3 المصدر نفسه، ص 15.

وقال أيضا: " فأنا أعيش بدون أبوين كل مراحل حياتي، بما فيها الطفولة المبكرة.. أمر مدمر على نفسيتي الطفولية في ذلك السن وأعتقد أنها تعاسة ما بعدها تعاسة، فقد كنت أحس الوحدة القاتلة، وأتضوع آلام اليتم لمعنى الكلمة".[1]

يوضح هذا النص المقتبس سبب هذا الانتقام الذي تحول إلى حقد دفين تجاه كل شيء في عسلة وفي كل مكان، دون اعتبار لأي شيء، المتمثل في "الغيرة" الغيرة من أقرانه الذين كانوا في سنه تحت أجنحة والديهم. يقول: " لقد رأيتهم أعداء لي ولأبي هم الذين قتلوه وبسببهم مات. وهكذا عاملتهم جميعهم على أنهم أعداء وهميون لشخصي، إذ لا بد وأن يكون لي أعداء في ذلك السن فقد أقوت على كراهيتهم، ومحاولة الانتقام منهم وهي في حقيقة الأمر بسبب تلك الغيرة القاتلة، التي دمرت بقية حياتي وجثمت على نفسيتي الصبيانية المهزومة أصلا، فأنا لا أحد في صفي من ساكنة عسلة... "حقدي الدفين لا يشبهه حقد" هكذا تربى وسرى في دمي، بحيث صرت حقودا متمرسا في أصناف الكراهية والحقد".[2]

انعكس هذ الحقد الدفين والكراهية والانتقام سلبا على حياته حيث زادته هذه الكراهية توحد وانطواء على نفسه فأنفته ورجولته لا تسمح له بأن يطلب شيء من أهله أو من سكان القرية، بل يتحصل عليه بالقوة" فأنا الوحيد الذي لم يطلب من أحد من عائلتي شيئا طوال حياتي، سواء كان قليلا أو كثيرا، ربما لو طلبت حاجة من أهل عسلة لأعطاني إياها، لكن الرجولة والأنفة جعلاني لا أطلب من أحد شيئا مهما كان، ولا أبسط شيء مهما كان، ولا أبسط شيء يذكر، وهذا ما كنت اقتنع به.. لكن لم يخطر لأحد من أهل عسلة أن يقدم لب شيئا أتذكره الآن أو قبل الآن".[3]

1 رواية المتسامح، ص 19.

2 المصدر نفسه، ص 15.

3 المصدر نفسه، ص 25.

كان نتيجة لتصرفاته وسلوكياته اتجاه أهله وسكان القرية "النبذ والمعاملة بالمثل " من ذلك " ومن بعض أهل عسلة لا أحد فيهم كان يرحمني، ولا أحد منهم كان يشفق على حالتي الصبيانية ولا أجد من يتفهمها ولا من يحاول تفهم ظروفي القاسية تلك.."[1].

ثم تحدث عن طريقة تفكير سكان القرية يقول: " نحن هنا في عسلة نؤمن بشيء بالخرافات والأحاجي وبجميع الحكايا التي قرأنا عنها ي يوم من الأيام في حياة الناس، من لا يؤمن بكل شيء، لا يؤمن بشيء هذه قاعدة الأمور كما يجب أن نراها عندنا في منطقتنا الصحراوية".[2]

المدينة:

المدينة ذلك الحيز المكاني الذي لا تحده الحدود الأربعة الضيقة، فهو ، يمتاز بأفقه الرحب غالباً ، ويقترن بمعاني الحرية والسعادة إذ يرمي إلى مجموعة من الانفتاحات الفكرية والنفسية والاجتماعية.

إن المدينة تعد ركيزة أساسية في الأعمال الروائية، وهناك من النقاد من يقول بأن "المدينة بوصفها مكان هي في الأساس المكان الذي كان متطلبا مسبقا الانبثاق الرواية كفن أدبي".[3]

ونجد في رواية " المتسامح" ذلك الفضاء الواسع الذي انتهى إليه "" بعد خروجه من قرية " عسلة" متوجها إلى المدنية " سعيدة" في بادئ الأمر ، هذه المدينة الواسعة التي استقبلته.

حيث كان انتقال الأمير للعيش في مركز الايتام في المدينة الأثر الكبير في حياته " بهذا المركز الجديد شعرت بأنني وجدت البيت الذي كنت أبحث عنه، عملت قدر الإمكان بوصية الشيخ المجاهد واحسست بأنني انسان آخر كذا بين عشيبة وضحاها صرت فردا خجولا بطبعي، إذ لا أكاد أجرؤ على قول كلمة بذيئة، واحدة أمام إخواني أبناء الشهداء.

1 رواية المتسامح، ص 25.

2 المصدر نفسه، ص 46.

3 البنية السردية في ثلاثية "أطياف الأزقة المهجورة العدامة – الشميسي الكراديب" للروائي تركي الحمد، بحث مقدم لاستكمال متطلبات الماجستير في اللغة العربية وآدابها تخصص :أدب ونقد، جامعة قطر، 2013- 2014، ص 79.

وأمام الحراس فأبدوا مسالما وديعا، ولا أعامل اخواني الأطفال هناك الا بالحسنى".[1]

ثم تحدث على الفرق الذي وجده بين القرية والمدنية، حيث ترحم على أيامه الخالية " لقد وجدت عالما آخرا، يختلف كلية عن عسلة، وأهلها.. عالم مليء بالمظالم، والمتاعب وبالضرب المؤلم من طرف الحراس، إنه يختلف عنا هنالك في تلك القرية الصغيرة الهادئة التي تغيرت ملامحها في نظري. فقد وجدت العفاريت، والأبالسة من أقراني هم أصعب بكثير من جميع أطفال عسلة، بل لا يفعلون الا الاعمال المحرمة، كلهم عفاريت حقيقيون... أنا ابليس عسلة وعفريتها الأحمر كنت الطف منهم بكثير".[2]

أضاف قائلا متحدثا مع نفسه:" لو أن أبسط هؤلاء الأطفال ذهب إلى عسلة فسيقلب نهارها ليلا، بل انه سيجعل ساكنتها ينسون اسمي ولا يتوقعون أنني كنت صعبا معهم، ولا يحسون بأنني كنت اتعفرت معهم، كل من وجدتهم في المركز من طينة واحدة، لا يفعلون الا الاعمال القبيحة، تمنيت أن يأتي أهل عسلة لينظروا إلى هؤلاء الأطفال الشياطين".[3]

بقيت قريته" عسلة" عالقة في ذهنه بحيث يتذكرها من لحين لآخر من ما جاء لسانه: " والله العظيم عندما أعود إلى عسلة سأزورهم واحد واحد هكذا قلت في نفسي سأطلب منهم الصفح و المسامحة. فأهل عسلة طيبون بطبعهم... سأقول لهم بأنني أخطأت في حقكم نساء ورجالا واطفالا هكذا اقسمت مع نفسي بأن أتوجه إليهم في بيوتهم وسيفرحون عندما يشاهدونني على هذا الصورة الحديثة " من يقول بأن الانسان يتبدل جذريا ".[4]

"فمن كان يتوقع أن أتحول بهذا الشكل؟ " من طان يقول بأن ابن المزبلة الوسخ يصير بهذا الشكل الفريد..؟ لقد ظهر انسان آخر كان يسكن بداخلي.

[1] رواية المتسامح، ص 108.
[2] المصدر نفسه، ص 109.
[3] المصدر نفسه، ص 109.
4 المصدر نفسه، ص 110.

سوف لن يصدقون ما يرونه أمام أعينهم؟

غالبيتهم سيتعجبون من هذه النقلة المفاجئة، إذ مع غباء وبلادة غالبيتهم إلا أنهم طيبون وطاهرون لا يحبون ألا الخير والأكيد أنهم سيفرحون".[1]

يتضح من هذا أن الأمير كان يتوقع ويعتقد أن واقعا افضل بكثير كان ينتظره في المدينة يمنحه الحب والاحترام، التربية والتعليم الذي افتقده في قريته عسلة، وهنا كانت المفاجأة والصدمة حيث وجد أن واقع الأطفال الايتام وأبناء الشهداء في المدينة لا يختلف عن القرية.

" سيقولون بأننا تخلصنا من العفريت الأحمر". ولعلهم يتأسفون على المدينة التي وصلتها ربما يقول بعضهم بأني سأفعل العجب بهذه المدينة التي لم يدخلها منهم إلا القليلون" وسأقلب سافلها على عاليها". يقولون ذلك لأنهم لا يعرفون أهل المدن ولعلهم يظنون بأن أطفال المدن مؤدبون ومهذبون مثلنا في عسلة يقدرون الكبير ويحترمون الصغير. الا بعض الاستثناءات مثلي.

كنا نتوهم بأن المدن أحسن بكثير من قرانا ومداشرنا، لكن الحقيقة غير ذلك، فنحن لا مدن لنا.. عندنا قرى متمدنة أو مدن متريفة".[2]

إذ وبالرغم من ذلك حاول الاستمرار فيما هو عليه من تغيير ولم يشأ أن يعود إلى حالته السابقة التي كان عليها. " فأن تكون ابن شهيد في مركز كهذا يجب عليك أن تتعفرت وتصير مثلهم، والا قتلك الجوع.. حاولت أن أتظاهر أمام الجميع بأنني ذاك الطفل الهادئ الوديع الذي لا يرتكب حماقة مثل هؤلاء الأبالسة الدين وجدتهم ينتظرونني كالقدر العفن".[3]

[1] رواية المتسامح، ص 110، 111.
[2] المصدر نفسه، ص 111.
[3] المصدر نفسه، ص 109.

فلعلهم يرجعونني إلى حالتي الطفولية الأولى" ويا ويلتهم إن عدت إلى ما كنت عليه" فأنا لا أحس الألم مثلهم، ولا زلت على تلك الحالة الشعورية الغريبة فقد أصرعهم واحدا واحدا وأعود إلى طبيعتي الحقيقية في المزبلة".[1]

المزبلة:

يحتل هذا المكان أهمية كبيرة عند" الأمير" الشخصية الرئيسية في الرواية باعتباره أحد الأماكن والروافد التي لعبت دورا كبيرا في حياته وساهمت بشكل فعال في بلورة أفكاره وشخصيته إذ نلاحظ كثرة تكرار هذا المكان، أين يعد من الأماكن الرئيسية.

كانت القمامة قوتا للأطفال اليتامى والمشردين" لقد كبرت على هذه المجموعة من الفتيان على بقايا المزبلة مثلي تماما، يأكلون كل ما يجدونه هناك في بقايا الجيش الفرنسي المتمركز في عسلة ومناطقها، فهم يجدون الكثير من اللحم الطازج للبقر ولحم الخنزير والنبيذ والدجاج والأسماك وأشياء أخرى لا تكاد تعد ولا تحصى ولا نعرف حتى أسماءها. فكل شيء هناك نعثر عليه نأكله، سواء تعرفنا عليه اسمه أو لم نتعرف عليه، لا نفرق بين الحلال والحرام".[2]

كما اعتبرها الأمير مطعما وملجأ، حيث أن الاحتلال الفرنسي الغاشم كان يرمي أجود الطعام ذلك لما رأى الأطفال يتناحرون على الطعام، وتكون بذلك فرجة وتسلية يتسلون بها " نسميها بيننا "الزوبية" والتي هي مطعمنا المفضل والملجأ الأوحد الذي يسترنا كل يوم، فقد صرت أعتقد أن الفرنسيين كانوا يدركون ذلك، ويعرفون بأن المزبلة هي مطعم هؤلاء الفتيان، أو لأقل مقصد الجميع هما في عسلة".[3]

1 رواية المتسامح، ص 109.

2 المصدر نفسه، ص 72.

3المصدر نفسه، ص 71.

لدرجة أطلق عليه لفظ "الزوباي" إلى جانب عدة تسميات مع الأسف كلها ألقاب سلبية زادت من حدة تعامله مع أهله ومع الناس، بحيث عندما يحدث شجار مع الأطفال يذهب الأطفال لأهلهم يشتكونه يقول : " لذلك صار الطفل منهم كلما عاد مهشما أو مضروبا إلى بيته ليخبر والده عن الحادثة التي أسأت له فيها فإما يقول: شجني ذلك أو يقول " ضربني ذلك اليتيم أو المجرم، وهناك من يسميني " الزوباي" نسبة إلى الزوبية أي المزبلة بلغة أهل عسلة ومتاخمها، أما بعضهم فيفضل لفظة " اليتيم" وقلة تسميني "المتشرد"[1].

من خلال هذا النص المقتبس تظهر أهمية المجتمع المدني بمؤسساته في احتواء هؤلاء الأطفال اليتامى وتقديم الرعاية اللازمة والمطلوبة قصد التكفل بهم من أجل تنشئتهم نشئه سليمة صحيحة.

خلاصة الفصل:

غالبا ما تكون التشكيلات المكانية لها دلالاتها في المتون السردية من قصص وروايات. هذا ما لمسته في رواية المتسامح في بناء الخطاب السردي، حيث تراوحت الأماكن التي شكلت الفضاء الأساسي للأحداث ، بين الأماكن المفتوحة والمغلقة. من الأماكن المفتوحة التي وردت في الرواية على سبيل المثال" جبل تمدة، الصحراء، المزبلة..." إلى جانب الأماكن المفتوحة نجد نوعا آخر من الأماكن التي تُكملها وهي الأماكن المغلقة مثل: "البيت، المسجد، المدرسة..."

1 رواية المتسامح، ص 69.

الفصل الثاني: علاقة المكان بالمكونات السردية

تمهيد

1- علاقة المكان بالمكونات السردية

2- علاقة المكان بالشخصيات

3- المكان والوصف

خلاصة الفصل

تمهيد:

حظي المكان في الرواية باهتمام كبير من طرف الدارسين، حيث يعد أحد المكونات الأساسية في بناءها ويشكل فضاءها الشامل، كما يمثل العمود الفقري الذي يربط أجزاء العمل بعضها ببعض. ذلك أن المكان هو الخلفية التي تقع فيها أحداث الرواية وتتفاعل في إطاره الشخصيات والأفكار، ويحرك خيال القارء لتصور الأمكنة من خلال الوصف فهذه العلاقة المتينة التي تجمع بين المكان وبقية المكونات السردية.

1- علاقة المكان بالمكونات السردية:

الرواية تسرد أحداث شخصية متطرفة ممثلة في الأمير، وهي في الحقيقة سيرة ذاتية متخيلة ومذكرات لأحد الإرهابيين التائيبين الذين تأثروا بدعوة رئيس البلاد، حيث تتحدث الرواية عن فكرة المصالحة الوطنية التي غلّبت المصلحة العليا للوطن على المصلحة الشخصية، وبذلك جنبت المصالحة البلاد من الزوال والاندثار في ثنايا التاريخ، وو قف نزيف الدم والحرب الاهلية.

الراوي بلحيا الطاهر يروي على لسان الأمير حياة الجبل والظروف المؤدية حيث يبرز أن ما حدث مع الأمير قد يكون كان نتيجة الظروف القاسية التي عانى منها اليتم، الشعور بالوحدة، غياب العائلة الحب الدفء والحنان، التي أخذت في النمو والتصاعد في حياته فليس كل متطرف متطرف بفطرته لأن الانسان مهما كان جبل على الخير والحب - خير دليل على ذلك عدول الأمير عما كان يفعله حيث تاب وترك الجبل ورجع إلى حضن أهله ومجتمعه بفعل المصالحة الوطنية-.

لكن يبقى التطرف تطرفا مهما كانت الأسباب والظروف المؤدية إلى ذلك وهنا يأتي دور العائلة والمجتمع الأساسي في احتواء الأطفال و الحالات الإنسانية لأنها مسؤولية المجتمع يقول الأمير: " أنا الذي تعذب كثيرا على يد الأهل كلهم سامحهم الله، أشهد الجميع أنني قد سامحتهم، ولا استثني منهم أحدا أتذكرهم جميعهم.. بل ودون أن يتفطن أحد منهم إلى ما كنت

أعانيه من وحدة ودمار نفسي، لأن تلك الوحدة كانت تدمرني كثير "1 كان هذا شعور الأمير بالوحدة وعدم الأمن الذي أخذ في النمو في نفسه مبرز انعكاساته عليه يقول: " فمرح ولعب الأطفال لا أعرفه...! بل حتى لم أجربه من قبل ولا من بعد.

ولا أتذكر أنني شبعته في يوم من الأيام، وأن ألعب كالأطفال كان من غير المستحيلات، لا أدري لماذا جاءتني صعوبة اللعب دون غيري من الأطفال.؟ اللعب متنفس أكيد وانا لم ألعب كأقراني. فأنا قد خلقت رجلا كبيرا من صغري، وقد لا أتذكر من قدمها لي ... بل حتى مجرد طيف عابر منها، أو لشيء كهذا الذي نسميه " لعب الأطفال و مرح الصبية" أنا رجل منذ ولادتي.. وسأبقى كذلك"2

تعتبر الطفولة مرحلة مهمة وحساسة في حياة الطفل إذ تجعل الطفل يندمج مع المجتمع والمحيط عن طريق الاحتكاك المباشر بالأطفال أمثاله وغيرهم، ثم إن الطفولة حق مكفول في القانون، إلا أن الأمير لم يحظى بفرصة اللعب واللهو مع أقرانه الأمر الذي حز في نفسه

نذكر هنا أن عدم احتواء مثل هذه الحالات في المحتمع سوف يؤدي ذلك بالضرورة الى انحرافها مما ينعكس سلبا على المحتمع فتنتشر بذلك الآفات الاجتماعية والجريمة.

هذه الرواية تجسد هذه القيمة دون أدنى شك، ربما لو وجد الأمير ذلك الحب والحنان والشعور بالأمان الذي كان يبحث عنه لا كان سلك طريقا آخر غير الذي سلكه " التطرف". قال الأمير محدثا أمه في رسالات كان يكتبها إليها واعتاد عليها لأنها ملجأه الوحيد :" أكتب إليك، ومجرد رسالة فقط.. صار بالنسبة لإرضاء نفسيتي المدمرة شيئا أساسيا وأمرا مسلما به مع نفسي على الأقل تقدير.. ولا يهمني في ذلك.

" وصلتك أم لم تصلك" والحقيقة كذلك يامن لا أحد لي غيرك..

1 رواية المتسامح، ص 16.

2 المصدر نفسه، ص 17.

إنني كلما احسست بالهزيمة في حياتي الخاصة، أو في شؤوني بمختلف أنواعها فسواء حل بي مكروه أو أصابني مرض.. أو ألم ما. أو لأحدى النبتين وسواء صادفتني أزمة عارضة، أو غير ذلك من مصاعب الحياة.

فالذي صار ثابتا عندي أن لا ملجأ لي سواك. أينما كنت وأين وجدت."1

نلاحظ كيف أن اليتم من الجانبين الأم والأب كان المنعرج الأساسي والفاصل في حياة الأمير، حيث ستنقلب حياته رأس على عقب ضف إلى ذلك حالة الضياع والوحدة التي كان يشعرها في ظل غياب الدعم والحب والحنان من الناس المقربين منه كإخوانه وأخواته ثم المحيط الذي يعيش فيه.

كما نلاحظ مكانة ودور الوالدين في حياة أبناءهم.

إن تركيز وعناية الراوي ببعض الأماكن على وجه الخصوص كالقرية عسلة، وبيت الأمير، مركز الأيتام، والمزبلة وجبل تمدة، لارتباطها الشديد بشخصية الأمير حيث لعب كل من هذه الأماكن دور مهم في حياة الأمير في كل مرحلة من حياته إلى أن أصبح ما هو عليه الأمير.

2- علاقة المكان بالشخصيات:

يعد المكان من العناصر المهمة في بناء الشخصيّة الروائية فلا يمكن أن توجد شخصيّة بدون مكان. فالمكان فضاؤها وحيّزُها الذي تتحرك فيه، فهوَ لا يقلُّ أهمية عن دور الزمان في بناء الشخصيّة، فكلاهما يشكلان دوراً ذا أهمية كبيرة في بناء الشخصيّة وهما متصلان ومتلازمان "فلا يمكن تناول المكان بمعزل عن تضمين الزمان كما يستحيل تناول الزمان، في دراسة تنصب على عمل سرديّ، دون أن لا ينشأُ عن ذلك مفهوم المكان، في أيّ مظهر من مظاهره".2 ومن الجدير بالذكر أن تجربة الإنسان التي

1 رواية المتسامح، ص 223.

2 عبد المالك مرتاض، تحليل الخطاب السردي، ص 227.

يعيشها ضمن ظروف معينةٍ وعامل الحس الإنسانيّ في نفس الإنسان قد يدفع إلى الميل نحو الزمان أو المكان.

تقول نبيلة إبراهيم: "إنّ تجربة الإنسان مع الزمان أو المكان تعتمد إلى حد كبير على ميل الحس الإنساني نحو الزمان أو المكان".1 وقد يرتبط الزمان مع المكان في العمل الروائيّ وهذا ما يطلق عليه "الزمكان الروائيّ" الذي يعني -على حد تعبير "باختين": "العلاقة المتبادلة الجوهرية بين الزمان والمكان المستوعبة في الأدب استيعاباً فنيّاً".2

لأن المحور الذي تدور حوله أحداث الرواية ومرتبطة به شكل مباشر شخصية الأمير سنقتصر في هذا القسم على شخصية الأمير أولا لأنها الشخصية الرئيسية ومحور الذي تدور حوله الأحداث، ولأن الأماكن ارتبطت بشكل كبير بشخصية الأمير.

ارتبط الأمير بعديد الأماكن التي لعبت دورا كبير في حياته بداية بالقرية "عسلة" التي نشأ وترعرع فيها يقول:

إنّ المكان بالنسبة للشخصيّة الرئيسة يعد الوعاء الذي تتحرك فيه، فالشخصيّة لا يمكن أن تعيش خارج إطار المكان ففي المكان ولدت، وعليه ترعرعت ونشأت، وفيه تموت. فهو الحيز الذي تحويه طيلة حياته وهو ليس جامداً غير قابل للتفاعل بل هو متفاعلٌ معها يستجيب لها ويتأثر بها: "فالمكان في حركة أخذ وعطاءٍ مع الشخصيات الروائيّة وأحداثها يتوجه بوجهتها، ويرتبط بحركتها، ويقدم بما يدفع أحداثها إلى الأمام دائماً". 3

إن تأثر شخصية الأمير بالمجيط الذي ترعرع فيه يظهر جليا على طول الرواية فها هو يقول:" إنني اتضوع الوحدة القاتلة، وأعيش كذلك اتعس لحظات العمر، ذلك لأنني لا أجد صدرا يسعني ولا قلبا رؤوفا يبعث الحنان الأمومي أو الأبوي الذي يعطي للطفولة في عمر

1 إبراهيم، نبيلة، فن القص في النظرية والتطبيق، مكتبة غريب، مصر، د.ت، ص 160

2 اختين، ميخائيل، أشكال الزمان والمكان في الرواية، ترجمة: يوسف خلاق، وزارة الثقافة، دمشق، 1990، ص 5.

3 شاهين أسماء، جماليات المكان في روايات جبرا إبراهيم جبرا، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، 2001، ص 17

الزهور مثلي فما أصعب الوحدة، إنها قاتلة مدمرة.؟ فأنا اليتيم الوحيد في عسلة، الذي عشت مشردا شقيا، ها هي الوحدة المميتة تقتلني، وها كوابيس التعاسة تزيدني تشريدا في كل حين من حياتي تلك .....فقد كبرت وأنا صغير، شخت وأنا لازلت صغيرا ((هل رأيتم رجلا حقيقيا في سن الرابعة من عمره.؟))1

واللافت للنظر أنّ هذا التأثر يجعل المكان يعكس الحقيقة النفسيّة للشخصية؛ فالمكان ينعكس على نفسيّة الشخصيّة فينتقل من التأثيرات الخارجيّة إلى الباطن النفسيّ لها، لذا يمكن القول: "إن سطوة المكان تتعدى في الواقع ما يبدو على السطح من تأثيرات وفاعلياتها المباشرة إلى أعماق التكوين النفسيّ للشخصيات".2 وهذه التأثيرات التي تتجاوز الظاهر لتصل إلى أعماق النفس ليست مقتصرة على شخصيّة واحدة فقط، بل تشمل جماعات في بيئات مختلفة. وهذه التأثيرات التي يحدثها المكان فيها تجعل بعض الجماعات تتسم بطابع نفسيّ خاص مختلف عن طابع جماعات تسكن في موطن آخر كلٌّ حسب رغبتها ووجودها.

كل مكان من هذه الأماكن سالفة الذكر تركت اثر بالغ في نفس الأمير مما أحدث تغييرا في حياته من ذلك الحقد والكراهية تجاه اهله وسكان القرية عسلة حيث جاء على لسانه:" فأنا لا أحد في صفي من ساكنة عسلة، لذلك وجدت نار الحقد متأججة دوما في دواخلي.. تتآكل مضرمة، لا تفارقني لحظة.. تصير جمرا يلهب نفسيتي الصغيرة ويكاد يقضي علي:

((حقدي الدفين لا يشبهه حقد)) هكذا تربى وسرى مع دمي، بحيث صرت حقودا متمرسا في أصناف الكراهية والحقد.3

من ذلك استعداده للذهاب إلى المدينة مركز الأيتام الذي كان يرى فيه فرصة للتغيير والبدء من جديد يقول: "" كنت لا أتجاوز العاشرة من عمري عندما وصلني ذلك الخبر الذي بدل

1 رواية المتسامح، ص 8، 9.

2 حافظ، صبري، الحداثة والتجسيد المكاني، مجلة فصول، ع 4، 1984، ص 172.

3 المصدر السابق، ص 15.

حياتي كلها، لقد جعلها تتغير رأسا عل عقب بحيث صيرني هذا الخبر السعيد أتبدل جذريا .. بل هو مجرد خبر جديد أصبح بسببه إنسان آخر" من قال بأن الفرد يتبدل في كل شيء" حتى في سلوكه وسيرته".1

يضيف قائلا: " نعم هو خبر مغير صرت إنسانا غير الذي كنته في عسلة، إنه مجرد خبر لكنه أسعد ما سمعت في حياتي كلها. فقد جاءنا حينها وكأنه "ليلة القدر" التي تنزل على الأشقياء فتبدل حياتهم كلية.2

كان وقع مركز الأيتام شديد وبالغ الأثر في نفسية الأمير كما نلاحظ في هذه المقاطع المقتبسة من الرواية، حيث لمسنا ربة الأمير في الخروج من المستنقع الذي وقع بداية بتغيير بعض سلوكاته كالاستحمام، ولباس نظيف... على ان يكمل الباقي في مركز الأيتام الذي كان يرى فيه فرصة للتغيير والتعليم والاندماج في المجتمع بحق يبرز ذلك في قوله: " الدولة جهزت مركزا للأيتام يجمع شتات أبناء الشهداء "المشردين اليتامى والفقراء.." والحقيقة أن أبناء الشهداء يتامى منبوذين، وخاصة الذين فقدوا الأبوين معا كحالتي. و مركز يعيد تعليمنا من جديد. ويمنحنا فرصة للاندماج في أسلاك التعليم المختلفة، والحقيقة إنه يعيد تربيتنا من جديد لعلها كانت فكرة الرئيس الراحل".3

فيبدو أنّ لكل مكان له خصوصيّة في التأثير على الشخصيات الروائيّة، ونوعيّة التأثير لا بدّ أن تختلف من مكان لآخر بحسب طبيعة المكان الذي تعيش فيه الشخصيات، فالأماكن الضيقة تنعكس على الأشخاص الذين يقطنون فيها بالضيق والسأم فالسجن مثلاً يُعَدُّ من الأماكن الضيقة ذات الأبعاد المحددة التي لا تستطيع الشخصيّة أن تتحرك فيه كما كانت خارج السجن. إنّ الشخصيّة في السِّجن معدومة

1 رواية المتسامح، ص 101.
2 المصدر نفسه، ص 101.
3 المصدر نفسه، ص 101.

الحرية بسبب السجن الذي يعد من الأمكنة التي "تحاصر الشخصية حصاراً مادياً يقاس فيه على مستوى الجسد كفاعليّة حيوية وتصعيد لمفهوم العفوية". 1

أما الأماكن المفتوحة ذات الفضاء الواسع فتنعكس أيضاً على نفسية أصحابها الذين يقطنون بها، فالناسُ الذين يقطنون في الضواحي الشعبية يتسمون بصفات مختلفة عن الناس الذين يقطنون في الأماكن الراقيّة، وكذلك فإنّ الذين يقطنون في القرى يختلفون في طبائعهم وأمزجتهم عن الذين يقطنون في المدن، فكلٌّ منهم له من الخصائص النفسيّة والذهنيّة والذوقيّة ما يجعله يختلف عن الآخر.

الملاحظ في شخصية الأمير أنه شخص متحرر فهو دائما ما يحبث الأماكن المفتوحة كي يكون حرا بحيث يكون هو المسؤول عن نفسه لا يحاسبه ويعاتبه أحد فهو سيد نفسه، كما أنه يحب القمم العالية كجبل تمدة ، ومن بين الأماكن المفتوحة التي يحبها الأمير نذكر المزبلة التي تعتبر مملكة ومكانه المفضل هو وساكنة عسلة حيث كانت توفر لهم هذه الأخيرة لقمة العيش " المتفق عليه شفويا أنه "((عندما تفرغ الشاحنات فضلاتها)) أتقدم أنا وأبد في اختيار ما يعجبني من بقايا المأكولات.. بحيث أخذ جميع ما يعجبني منها بيد وبيدي الأخرى، أكون قد بدأت عملية الأكل.... ثم أترك المجال لهم ليتخيروا فيما بينهم بحسب الاسبقية. والحقيقة هو أن ما كنا نجده في القمامة الفرنسية أحسن بكثير مما تقدمه لنا العائلة في حوشنا الفسيح الخرب.... هكذا قانون الغاب بيننا: ((القوي يغلب الضعيف، والضعيف يغلب الأضعف وهكذا))."2

ومن الأماكن المفتوحة المفصلة عنده قمة جبل تامدة " عندما أجلس في أعلى قمة جبل تامدة، مكاني المحبب أرى أمامي الأشياء على حقيقتها، فمن ذلك المكان المرتفع الشاهق يبدوا هناك جميع ما يحيط بنا واضحا لا زيف فيه".3

1 جنداري، إبراهيم، الفضاء الروائي عند جبرا إبراهيم، دار الشؤون الثقافية العامة، ط1، 2001م، 242.

2 رواية المتسامح، ص 81

3 المصدر نفسه، ص 235.

" إنها تبعدني عن ضجيج أولئك البشر التافهين، الذين أجدهم كلهم وبدون استثناء لا يساوون بعوضة في حقيقتهم، لا قيمة لأحد منهم هنا، ولا هناك، فحياتهم روتينية بليدة، وتصرفاتهم الصبيانية العاجزة عن تغيير أوضاعهم وحالاتهم المتدنية يوم بعد يوم".1

والفضاء المكانيّ يلعب دوراً كبيراً في تحديد الشخصيّة الروائيّة "فالشخصيّة الروائيّة تتحدد من خلال الفضاء، ويتحدد الفضاء من خلال رؤيتها وبهذا يتحقق التفاعل بين الذات والموضوع".2 فالفضاء المكانيّ بما يحويه من أبنية وتضاريس وهيكلةٍ ينعكس على سلوك الشخصيات الروائيّة؛ فالشخصيّة الروائيّة شديدة التأثر بكلِّ ما يدور حولها وبكلِّ ما تراه، فالبيت الذي تسكنه الشخصيات مثلاً يشهد حركة وعلاقات اجتماعية وحتى شكله وما يحويه من منافذ ومداخل قد يدلُّ على الشخصيّة التي تقطنه فالروائيّ عندما يصف البيت فكأنّه في الوقت نفسه يصف الشخصيّة "فبيت الإنسان امتدادٌ لنفسه، فإذا وصفتَ البيت فقد وصفت الإنسان".3

صقلت كل من القرية والمزبلة ودار الايتام وجبل تمدة شخصية الأمير حيث جعلت منه شخص قاسي عديم الرحمة لا يهمه سوى نفسه يكون البقاء فيها للأقوى هكذا علمته الحياة" كل من وجدتهم في المركز من طينة واحدة، لا يفعلون إلا الأعمال القبيحة. تمنيت أن يأتي أهل عسلة لينظروا إلى هؤلاء الأطفال الشياطين.. والمردة: ((إنهم كلهم بدون استثناء مجرمون حقيقيون)) فأن تكون ابن شهيد في مركز كهذا يجب أن تكون مارداً احمراً.. هذا شرط البقاء هناك، لا بد عليك أن تتعفرت وتصير مثلهم، ولإلا قتلك الجوع".4

---

1 رواية المتسامح، ص 236.

2 يقطين، سعيد، الرواية والتراث السردي "من أجل وعي جديد بالتراث"، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1992، 67.

3 ويليك، رينيه، وأوستين وارين: نظرية الأدب، ترجمة: محيي الدين صبحي، دار المريخ، الرياض– المملكة العربية السعودية، ص 288.

4 رواية المتسامح ، ص 109

عزز مركز الايتام الذي التحق به الأمير العنف والقسوة والشدة في نفسه أكثر فأكثر للتتسع بذلك الفجوة بينه وبين التغيير المنشود الذي كان ينوي تحصيله في مركز الايتام، لكن تجري السفن بما لا تشتهي الرياح.

إنّ المكان مهما بدت درجات التغير فيه فإنه يبقى ثابتاً نسبياً يحافظ على طابعه الذي يؤثر على نفسية الشخصيّة وطبعها، ومهما بلغت درجة التغير فيه فإنّ الشخصيّة الروائيّة تبقى في حالة اقتران معه لا تستطيع الانفلات منه، فهي دائماً تسعى إلى التعرّف على ذاتها من خلاله: "فالمكان يتسم بدرجة من الثبات النسبي يساعد الأنا على التعرف على ذاتها، ويساهم في حمايتها من عواطف التشتت والضياع، التي توشك عمليّة التغيير، أو بالأحرى التشويه، أن تطيح بها بلا هوادة".1

من خلال تتبعنا وقراءتنا للرواية لاحظنا أن المكان الذي نشأ فيها والظروف المصاحبة لها والأفراد الذين كانو يحيطون به زجت بحياة الأمير لمستنقع الآفات الاجتماعية بفعل تصرفاتهم نحوه، إلا أنه بالرغم من طل معاناته كان يرغب في التغيير، بحيث كان الأمير يتمنى أن يصبح شخصا آخر فور التحاقه بمركز الايتام الذي كان يرى فيه منفذ وفرصة للتغيير إلا أنه وجد واقعا أصعب من الذي نشأ فيه يتطلب القوة وهذا المقطع يبرز ذلك " لقد هجرني النوم وأصبحت منشغلا به، لا أفكر إلا في كيفية الالتحاق بهذا المركز الموجود في مدينة سعيدة، بعد أن ألغيت فكرة الالتحاق بالمركز العسكري الذي أتخرج منه ضابطا في يوم من الأيام. وقد سمعت بأن مجاهدا محترما من دشرة قريبة من عسلة على معرفة بأخبار هذا المركز المنقذ ..!".2

" تيقنت بأن هذا المركز سيلملم شملي ويعيدني إلى الحياة العادية، أو قد أصير ككل الناس، ومن ثم بدأت أحلم كثيرا به العجيب أنني في هذه الأثناء توقفت نهائيا عن تلك البهلوانيات التي

1 حافظ، صبري، الحساسية الجديدة، واستخدامات المكان، الأقلام، ع 11-12، 1986، ص 70.

2 رواية المتسامح، ص 103.

كنت أقوم بها يوميا، فصرت لا أكسر شيئا أجده أمامي، ولا أتسلق الحائط ولا أسب أحد في الباطل.... قلت مع نفسي لا بد أن أبدل هذه الحياة الشقية بهدوء"1 .

لكن المفارقة في انتقاله من القرية إلى مركز الأيتام أنه وجد واقعا مرا وأصعب من الذي كان يعيشه، إذ كان يترحم على ما فعله بساكنة قرية عسلة " لقد وجدت عالما آخرا، يختلف كلية عن عسلة، وأهلها، عالم مليء بالمظالم، وبالمتاعب وبالضرب المؤلم من طرف الحراس، إنه يختلف عنا في تلك القرية الصغيرة الهادئة التي تغيرت ملامحها في نظري، فقد وجدت العفاريت والأبالسة من أقراني هم أصعب بكثير من جميع أطفال عسلة".2

وبالتالي بقي الأمير أسير الأماكن والظروف القاسية التي نشأ فيها والتي أخذت حدتها تتصاعد شيئا فشيئا إلى أن أصبح الأمير القائد، قائد الكتيبة والمجاهدين الآمر الناهي لا يعلوا عليه شيء.

إنّ الثبات النسبيّ للمكان يساعد الروائيّ على تجاوز الإطار الماديّ الشكليّ للمكان ليصبح يحمل في طياته كلَّ ما يختص بالإنسان من عادات وأفكار وأخلاق، فالمكان بذلك يصبح: "كياناً اجتماعياً يحتوي على خلاصة التفاعل بين الإنسان ومجتمعه، لذا شأنه شأن أيّ نتاج اجتماعيّ آخر يحمل جزءاً من أخلاق وأفكار ووعي ساكنيه، ومن خلال الأماكن يستطيع قراءة سيكولوجيّة ساكنيه وطريقة حياتهم، وكيفيّة تعاملهم مع الطبيعة".3

عكست هذه الأماكن على وجه الخصوص صفات وأخلاق الأمير التي تتسم بالغلظة والقوة والقسوة منذ نعومة اظافره إلى أن صار شاب ثم قائد ومجاهد فهو الذي يقول" أنا رجل منذ

1 رواية المتسامح، ص 103، 104

2 المصدر نفسه، ص 108، 109.

3 نصير ياسين، الرواية والمكان، ج2، وزارة الثقافة، بغداد، 1995، ص 16.

ولادتي.. وسأبقى كذلك ولعل الناس كانوا يعاملونني على أنني رجل منذ بدأت أعي وأنا لا أتجاوز الخامسة من عمري... فقد كنت رجلا بأتم معنى الكلمة، أنا الوحيد المتوحد، الفريد المتفرد. "1

إن تفاعل الشخصية مع المكان لا بد أن ينتج عنه عدة مستويات تختلف عن بعضها بعضاً كلّ حسب الظروف التي تعيشها الشخصيّة في المكان ويمكن عرض هذه المستويات كالتالي:

الانتماء

تبدو هذه العلاقة عندما يحدث اتصال، وتفاعل، بين الشخصية والمكان، وهذا التفاعل يخلق علاقة حب للمكان الذي تعيش فيه الشخصية، أي أن الشخصية تشعر بأنّ هناك رابطاً روحياً قوياً بينها وبين المكان الذي تعيش فيه. ، وهذا الانتماء الكامن في أعماقه لا بدّ أن يدفعه للعودة لذا فإننا "نجد العديد من الشخوص، وبالأخص الفواعل المركزيين، مهما ابتعدوا عن موطنهم الأصلي يعودون".2 ولا نقول: إنّ هذا الانتماء هو العامل الوحيد الذي يدفع الإنسان أو الشخصية إلى العودة إلى الوطن، وإنما هناك عوامل أخرى فرعيّة كعدم الاتزان الفكريّ والثقافي والاجتماعي مع الموطن الغريب الذي تقطن فيه.

من الأماكن التي يشعر الأمير بالانتماء إليها على وجه الخصوص المزبلة وجبل تامدة

المزبلة:

أحد الأماكن الرئيسة التي وجد ضالته فيها " لقد كبرت على هذه المجموعة من الفتيان على بقايا المزبلة مثلي تماما، يأكلون كل ما يجدونه هناك في بقايا الجيش الفرنسي المتمركز في عسلة ومناطقها، فهم يجدون الكثير من اللحم الطازج للبقر ولحم الخنزير والنبيذ والدجاج

1 رواية المتسامح، ص 17.

2 يقطين سعيد، قال الراوي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1997، ص 242.

والأسماك، وأشياء أخرى لا تكاد تعد ولا تحصى ولا نعرف حتى أسماءها. فكل شيء هناك نعثر عليه نأكله، سواء تعرفنا عليه اسمه أو لم نتعرف عليه، لا نفرق بين الحلال والحرام".1

كما اعتبرها الأمير مطعما وملجأ، حيث أن الاحتلال الفرنسي الغاشم كان يرمي أجود الطعام وأطيبه.

جبل تمدة:

إن تعلق الأمير بجبل تامدة راجع لأنه أعلى قمة ومن على رأسها يرى الأمور والأشياء على حقيقتها ولأنها ملجأه الخاص والمميز " هذه القمة الجبلية الشاهقة، هي قمة محببة إلى قلبي، لا أدري حتى الآن لماذا أصبحت أفضلها بهذا الشكل؟. ربما لأنها تجعلني أرى شيء على حقيقته، وأرى جل الأمور على حقيقتها الفعلية"2

لقد أصبحت أحبها بشكل مفرط لأنها ملجأ الهرب من واقعه، المر إلى مكان حالم أسطوري، يحقق رغبة جنونية لتبديل ما يراه غير مناسب لفكره وأحلامه، ولما قد يراه مناسبا لفكرة التغيير القادم لكل ما حوله.

من هنا سكنتني فكرة رئعة" ((أنتم الأعلون)) لقد صرت أحبها و أفضلها على كل مكان آخر، لأنها تجعلني أرى كل ما يدب على وجه البسيطة أمامي بسهولة ويسر، ولا يفوتني شيئا من كل ما يتحرك على السهول المقابلة، وفي هذه المدن الثلاث((سعيدة، معسكر، قسنطينة)) وضواحيهم، وفي الوقت نفسه لا يمكن لأحد منهم أن يراني مهما فعل".3

التنافر:

تظهر حالة التنافر بين المكان والشخصيّة عندما يتحول المكان بالنسبة للشخصية إلى مقرٍّ غير مرض يجعل الشخصية تنفرُ منه وتعيش حالةً من الاغتراب النفسي والذهني والفكري قد تكون بسبب طبيعة المجتمع الذي تشهده الشخصية على مكانها:

1 رواية المتسامح، ص 72.

2 المصدر نفسه، ص 237

3 المصدر نفسه، ص 238

"فالشخص قد يجد نفسه عاجزاً تماماً أمام ما يسود المجتمع الذي يعيش فيه من أنظمة اجتماعية فاسدة. هذه الأنظمة تقف حائلاً دون تحقيق أهدافه وتطلعاته ورغباته".1 وعندما يفشل في تحقيق أهدافه ورغباته يعيش حالة من الاغتراب النفسي قد تدفع به إلى الانتحار والموت؛ لأنه فقد الرابط بينه وبين المكان والمجتمع الذي ينتمي إليه "فانعدام تكامل الفرد كفرد مع المجتمع يصل ببعض الأفراد إلى أن يجدوا أنفسهم عاجزين عن الاستجابة أو الخضوع لأيّة سلطة غير تلك التي تصدر منهم هم أنفسهم، يؤدي بهم في النهاية إلى الانعزال عن المجتمع وفقدهم لتأييد الجماعة التي يعيشون فيها، وبالتالي استحالة الحياة في هذه الجماعة مما يدفعهم إلى الانتحار"2

تجسدت هذه السمة في علاقة الأمير مع أهل بيته الذين لم يقدموا له الحب والحنان الذي كان يحتاجه بل كان يعنف ويضرب مما جعله أكثر عدائية يقول: " لماذا لا أجد من يطيب خاطري الكئيب؟ وعلى العكس من ذلك وفي الليل جاءت اختي الكبرى لتعاقبني بالفلفل الحار على ذلك البكاء المزعج بالنسبة لهم، بحيث وضعت رأسي بين ركبتيها وسكبت لهيب الحريق الناري في أنفي وفمي، إلا أنني لم أبك، بل تماسكت بدافع شجاعتي الفريدة، وقلت في عملية تحد لها وللعائلة كلها التي كنت العنها في قلبي، سأصبر وصبرت حتى جعلتها تشك في أن الفلفل الناري لا جدوى منه، فجربت بعضه في فمها، فلسعها كالعقرب، صرخت وهي تلتفت صوبي لترى مدى تصبري. قالت صارخة بصوتها المجلجل..((هذا عفريت أحمر)) إنه لا يحس اللهيب، لا يتضوع النار، ومن يومها سماني الجميع بهذا الاسم العفريت الأحمر ".3

كما تظهر هذه السمة في علاقة مع ساكنة قرية عسلة التي كانت تنبذ تصرفاته وتنعته بأبشع الاوصاف وكانوا يحذرون أبنائهم منه لذلك لما اتيحت له فرصة الخروج

1 السيد، حسن سعد، الاغتراب في الدراما المصرية المعاصرة بين النظرية والتطبيق (1960-1969) الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط1، 1986، ص 18

2 السيد، حسن سعد، الاغتراب في الدراما المصرية المعاصرة بين النظرية والتطبيق (1960-1969)، ص18.

3 رواية المتسامح، ص 14

من القرية لم يتوانى أو يتردد في قراره بل اقدم عليه كل إصرار وعزم أملا في واقع أفضل ومغاير لما عاشه في القرية.

يقول متحدثا عن قريته وتصرفاته اتجاه قاطينها " ((أن الشيطان الرجيم، والعفريت الأحمر)) ابن المزبلة الذي لا يعيش إلا في ((الوسخ وبالوسخ)) هكذا يتحدث عني وهكذا ينظرون إلى .. لكنني أرعبهم وأخيفهم وأضرب أطفالهم بلا شفقة،حتى صار الجميع يكرهني ويتمنى موتي".1

" الجميع متحرزا مني، فهم لا يقتربون مني إطلاقا، يهابني الجميع بسبب شتائمي لهم.. وبسبب صعوبة التعامل معي كان بعضهم يسميني((العجينة)) بحيث ألصق بكل شيء، بل دائم البحث عن الذي ألتصق به.. أنا العجين الوسخ المفتل العضلات الذي لا يخاف أحدا مهما كان. فأنا الطفل الطليق المتعفرت الذي كان يسب الكبير ويضرب الصغير، ويسمع النساء فاحش القول، ويتفوه أمام الجميع بما لا يرضون سماعه من كلام بذيء"2

وقد يكون سبب التنافر بين الشخصية وهنا تحاول الشخصية التمرد على هذا النظام من أجل إصلاحه.

الحياد:

يبرز مستوى الحياد عندما ينعدم الرابط بين الشخصيّة والمكان الذي تعيش فيه، فلا يمثل لها المكان سوى محطة عابرة تمكث فيها الشخصيّة حقبة من الزمن ثم تمضي دون أي رَبْط بينها وبين المكان، فهي لا تتخذ أيَّ موقفٍ فلا هي منتميةٌ له ولا هي في علاقة تنافر معه، كالعمال الذين يأتون من بلدانهم للعمل في بلد آخر لكسب المال وتحسين معيشتهم ثم يعودون لأوطانهم، لا يعني لهم البلد الآخر الذي يذهبون إليه سوى أنّه مكان لكسب المال وتحسين الأوضاع، وكذلك السياح الذين يأتون من كل بقاع العالم ليزوروا موطناً سياحياً مهماً يمكثون فيه أيضاً حقبة بسيطة من الزمن من أجل

1 رواية المتسامح، ص 94.

2 المصدر نفسه، ص 96.

التعرف والمتعة ثم يعودون إلى ديارهم، وكلُّ أولئك لا يتجاوز اهتمامهم بالسطح المكانيّ فلا يمثل لهم المكان أيّ قيمةٍ إنسانيةٍ رفيعةٍ وبذلك يتخذون منه موقف الحياد.1

شكل مركز الايتام محطة بارزة وهامة في حياة الأمير يقول: "بهذا المركز الجديد، شعرت بأنني وجدت البيت الذي كنت أبحث عنه، عملت قدر الإمكان بوصية الشيخ المجاهد، واحسست بأنني ملاك طاهر لا يرتكب الخطيئة أصلا فتظاهرت بأنني إنسان آخر هكذا بين عشية وضحاها صرت فردا خجولا بطبعي، إذ لا أكاد أجرؤ على قول كلمة بذيئة واحدة أمام إخواني أبناء الشهداء.

وأمام الحراس أبدوا مسالما وديعا ولا أعامل إخواني الأطفال هناك إلا بالحسنى"2

أضاف قائلا:" حاولت أن أتظاهر أمام الجميع بأنني ذلك الطفل الهادئ الوديع الذي لا يرتكب الحماقة مثل هؤلاء الأبالسة الذين وجدتهم ينتظرونني كالقدر العفن، فلعلهم يرجعونني إلى حالتي الطفولية الأولى. ((ويا ويلتهم إن عدت إلى ما كنت عليه..)) فأنا لا أحس الألم مثلهم، ولازلت على تلك الحالة الشعورية الغريبة. فقد أصرعهم واحدا واحدا وأعود إلى طبيعتي الحقيقية في المزبلة"3

إن تغيير المكان أحيانا يأتي بثماره بحيث تبحث عن بداية جديدة تطمح من خلالها إلى تغيير ما يمكن تغييره بحياتك هذا تماما ما حدث مع الأمير الذي كان في الميتم تلك الفرصة الملائمة لإحداث تغيير في حياته.

1 شرحبيل المحاسنة، المكان الروائي ودلالته، رابطة أدباء الشام، http://www.odabasham.net/ اطلع عليه بتاريخ 05/05/2023. الساعة 12:00

2 رواية المتسامح، ص 108.

3 المصدر نفسه، ص 108، 109.

3- المكان والوصف:

الوصف الوسيلة الأساسية فى تصوير المكان، و "هو محاولة لتجسيد مشهد من العالم الخارجى فى لوحة مصنوعة من الكلمات، والكاتب عندما يصف لا يصف واقعاً مجرداً، ولكنه واقع مشكّل تشكيلاً فنياً، إن الوصف فى الرواية هو وصف لوحة مرسومة، أكثر منه وصف واقع موضوعى.1

إن الوصف يتناول الأشياء، فيرسمها بوساطة اللغة، وهو عنصر أساسي في الرواية، فإذا كان السرد يروى الأحداث فى الزمان، فإن الوصف يصور الأشياء فى المكان، ولكنه ليس غاية فى ذاته، وإنما هو لأجل صنع المكان الروائي، أو بالأحرى لخلق الفضاء الروائي، فما هو بالتصوير الموضوعي، إنما هو تصوير فنى.

وفى الرواية يظهر الوصف إلى جانب السرد والحوار، بل لعله من الممكن استخراج أسطر أو مقاطع خالصة للوصف، ولكن مما لاشك فيه أن هذا الوصف ليس للزخرف أو الزينة، إلا في الأعمال الضعيفة.

إن الوصف في رواية المتسامح يبرز سمات وخصائص المكان إلى جانب الشخصيات والظروف المحيطة بالمكان ككل.

من ذلك ما جاء على لسانه خلال حديثه عن المزبلة مستذكرا الماضي يقول: " حول المزبلة تقوم معارك طاحنة لا رحمة فيها للضعفاء خاصة عن من يستولي على الأجمل والأحسن من قاذورات الجيش الفرنسي ومن مخلفاته التي ترمى على أنها غيلا صالحة للأكل والشرب أو تكون مدة صلاحيتها قد نفذت ولأننا نتسابق على بقايا حثالة التي نجدها في قمامة المزبلة، بل نتقاتل أحيانا حول من يكون له السبق ليحصل عليها.. حتى وإن كانت الأمور قد حسمت بيننا

1 سيزا قاسم، بناء الرواية، ص110

منذ بداية دخولي إلى معتركها وفي هذه الأثناء كنت أنا الآخر أتقوت على بقايا فضلات المزبلة: لكن أي مزبلة.؟؟"1

وأضاف قائلا: " عندما أتذكرها الآن، وأرى مزابلها الحالية أتعجب من حياة الرفه التي كنا نعيشها في مزابل المستعمر..! والحقيقة تقال كنا نأكل كثيرا من الخيرات اليت لا توجد الآن حتى في أسواقنا".2

إن للوصف وظائف متعددة، منها التصوير الفني الجميل للمكان، ومنها التمجيد للشخصية التى ستخترق المكان، فمن خلال وصف المكان يتم التمهيد لمزاج الشخصية وطبعها، فيصبح المكان "تعبيرات مجازية عن الشخصية، لأن بيت الإنسان امتداد له، فإذا وصفت البيت، فقد وصفت الإنسان" 3

تتمظهر هذه الوظيفة في الرواية من خلال وصف جبل تمدة وكيف استمد الأمير من أفكاره ومعتقداته من قمته الشاهقة.

" عندما أجلس في أعلى قمة جبل تمدة، مكاني المحبب، أمامي الأشياء على حقيقتها، فمن ذلك المكان المرتفع الشاهق، يبدوا هناك دميع ما يحيط بنا واضحا لا زيف فيه، فتامدة هي رأس القمة الجبلية المتماهية في الغيوم، تناطح علو السماء الفعلية التي تظهر لنا من خلالها السهول وكأنها ذات لون أخضر شفاف، من هنا أراها بشكل مغاير لما هي عليه في واقعها، فرأس قمة تامدة تدعل ذاك اللون الأخضر العادي يتبدل ليبدوا على حقيقته الكئيبة، وكأنه أزرق قان لا تمازجه ألوان بيضاء وسوداء داكنة كما تتمظهر لنا من الأمكنة العادية".4

يظهر هذا النص المقتبس من الرواية العلاقة الوثيقة والوطيدة التي تجمع بين الأمير وجبل تمدة.

1 رواية المتسامح، ص 76.

2 المصدر نفسه، ص 77.

3ويليك رينيه، ارين اوستين، نظرية الأدب، ص 288

4 المصدر السابق، ص 235.

" فهنا حقيقة الأشياء نراها حالمة تماما كما هي في واقعنا المزري.. لا زيف فيها ولا يعتريها الوهم الجاثم على هذ المجتمع الحسيس هكذا هي قمة جبل تامدة الأشم، عرين الأسود، ومفرخة النسور والصقور الكاسرة منذ أمد بعيد"1

أما عن أسباب تفضيله لهذه القمة وتعلقه فهي عديدة ومتعددة من ذلك أنها برج مراقبة يراقب من خلاله تحركات الجميع، يقول: " هذه القمة الجبلية الشاهقة، هي قمة محببة إلى قلبي، لا أدري حتى الآن لماذا أصبحت أفضلها بهذا الشكل؟. ربما لأنها تجعلني أرى شيء على حقيقته، وأرى جل الأمور على حقيقتها الفعلية"2

ويقول أيضا" أنا الأعلى الشاهق السامق، أنا الذي أراهم وأراقبهم من حيث لا يرونني ولا يراقبونني، هنا أنا السيد، وهم الأذيال التابعون الذين لا قدرة لهم على فعل شيء يذكر. ذلك هو الأساس الذي جعلني أحب هذه القمة الجلية الشامخة، لأن لا شيء بعدنا هنا في هذا الفضاء السامق، إلا الله في ((ملكوته، وعظمته))".3

أما السبب الثاني فلأنها ملجأ للأشخاص الهاربين من واقعهم المر بحثا عن الأفضل يقول: "لقد أصبحت أحبها بشكل مفرط لأنها ملجأ الهرب من واقعه، المر إلى مكان حالم أسطوري، يحقق رغبة جنونية لتبديل ما يراه غير مناسب لفكره وأحلامه، ولما قد يراه مناسبا لفكرة التغيير القادم لكل ما حوله".4

أما السبب الثالث فلأنها تعزله عن الضجيج والحركة وتكون بذلك فرصة لتصفية الذهن يقول: " إن رأس تلك القمة الجبلية السامقة جدا، في علوها الأبدي أجد بأنها تبعدني عن ضجيج أولئك البشر التافهين".5

1 رواية المتسامح، ص235

2 المصدر نفسه، ص 237

3 المصدر نفسه، ص 238.

4 المصدر نفسه، ص 237-238.

5 المصدر نفسه، ص 236.

أما السبب الرابع أنها موطن للخارجين عن عادات وتقاليد وقيم المجتمع المتوارثة حيل بعد جيل يقول: " قمة جبل تامدة مسكني المحبب، هي كتلك الأمكنة المتماهية في عظمتها، والتي توحي وكأن العالم ينتهي عندنا عنا في القمة رأسها الصعب المدبب، وفي علو لا يكاد ينتهي، ووعرة محجاتها، وأمكنتها الخرافية الرائعة في نظري، خصوصا لخطورتها و استحالة ركوبها إلا على أمثالي أنا ورفاق السلاح، إنها مسكن الأبطال الصناديد الذين يحرجون عن قيم المجتمع الفاسد

من الأفكار التي تبناها الأمير من هذا الصرح العظيم – جبل تامدة- العلو والمنزلة والمكانة العالية يقول" من هنا سكنتني فكرة رئعة ((أنتم الأعلون)) لقد صرت أحبها و أفضلها على كل مكان آخر، لأنها تجعلني أرى كل ما يدب على وجه البسيطة أمامي بسهولة ويسر، ولا يفوتني شيئا من كل ما يتحرك على السهول المقابلة. "1

يضيف قائلا" وحده فوقنا، وحده في عظمته سبحانه في تلك الروعة التي تسحرني وتجعلني يوميا ازداد محبة لله واعجابا بأسرار خلقته، فمن هنا قد نتأمل جمال الصنعة الربانية الخارقة، ومن هنا تبدو لنا تلك المهنجية التي خلق الله عليها الأشياء ساحرة وأسطورية بحيث جعلها منقسمة إلى قسمين كبيرين لا أكثر ولا أقل ((الأعلى والأسفل)) السماء والأرض، المرتفع والمنخفض، هكذا أرادنا أن نعيش وهكذا أرادنا الله أن نكون"2

وقال أيضا: " ((أنا أشعر منذ صغري بأنني في الأعالي، ومن أهل السماء)) أنا هكذا كالملائكة لا أحب الأرض المنخفضة، ولا أرغب في السهول الواطئة. الأعلى مسكني الأعلى فالأعلى، هكذا أريد، قال ((أنتم الأعلون)) العلو عالمي للخلود الفردوسي، والأرض وما تحتها جحيمي، للسقر وما حولها.!"3

1 رواية المتسامح، ص 238

2 المصدر نفسه، ص 238-239.

3 المصدر نفسه، ص 239.

أما "الوظيفة الثالثة التي يؤديها الوصف، وخاصة عندما يقف عند التفاصيل الصغيرة، هي وظيفة إيهاميه، إذ يدخل العالم الخارجي بتفاصيله الصغيرة في عالم الرواية التخييلي، فيشعر القارئ أنه يعيش في عالم الواقع لا عالم الخيال، ويخلق انطباعاً بالحقيقة أو تأثيراً مباشراً بالواقع"1

تجلت هذه الوظيفة بشكل كبير وواضح تكاد تكون السمة البارزة في الرواية، لأنها تطرقت لتفاصيل دقيقة تتعلق بحياة المتطرفين" "الإرهابيين في الجبل" لا سيما إذا كنا على علم بجرائم الإرهاب بحكم العشرية السوداء التي مرت بيها الجزائر مطلع التسعينات أولا، ولأنها أشارت إلى مناطق بعينها كمدينة سعيدة، سيدي بلعباس، معسكر، وإن كان المكان حقيقي فإنه في الرواية يبقى مكان متخيل قد لا يمت بصلة إلى ما حدث في الجزائر في تلك الفترة، إلا أنها تقرب لنا الواقع.

من ذلك ما جاء على لسانه: " بالقرب من أعلى قمة الجبل مغارة تشكلت طبيعيا عبر أحقاب جيولوجية سحيقة لكن يد الإنسان نحتتها بطريقة عجيبة بحيث كانت هناك إضافات غير منسجمة مع تشكيلات المكان.. هي نقوش رديئة لم اتفطن لها إلا قليلا، فعندما راجعتها وجدت بأنها كتابات منقوشة حديثا وبعد تأملها قرأتها بتمعن... كانت لمجموعة من مجاهدي ثورة التحرير المباركة، .....اخترت أجمل مكان في باحة المغارة للصلاة".2

أضاف متحدثا عن الفرق بينه وبين معيشة المجاهدين في المغارة حيث قال:" إنني عندما أقارن نفسي من هؤلاء الرجال الذين كانوا يحاربون فرنسا أجد بأنني كذلك أذكى منهم بكثير.. فهم كانوا يعيشون حياة عزلة، فرضوها على أنفسهم، هي كانت حياتهم تعاسة وشقاء، بل كأنهم في سجن داخل المغارة التي تبدو لهم كئيبة، كونها في حد ذاتها سدن يعيشون حياة الجوع والتشرد والمطاردة من طرف فرنسا الخبيثة الغاشمة".3

1 سيزا قاسم، بناء الرواية، ص 81

2 رواية المتسامح، ص 285.

3 المصدر نفسه، ص 288.

مرد هذا الكلام – الحديث عن المجاهدين والإرهابيين - أن لا شيء يستحق التضحية في نظره لأن المجتمع فاسد، لذا وجب استئصال الفساد من جذوره يقول: " ((لأن هذا المجتمع الفاسد، لا يستحق التضحية من أجله)) هو مجتمع يجب علينا تربيته من جديد، ((بحيث علينا أن نقتل الثلثين لصلاح الثلث)).1

يقول في موضع آخر متسائلا: " هل يمكنني أن أضحي من أجل هذا المجتمع الفاسد؟؟2

بناء على ما تقدم تبين لنا أن للمغارة وجهان الأول ملجأ ومخزن للثوار الجزائريين لتنفيذ عملياتهم العسكرية ضد الاستعمار الفرنسي، و مسكن وموطن للمتطرفين الارهابين الذين يقتلون أبناء جلدتهم.

خلاصة الفصل:

في الأخير نقول إن للمكان علاقة وطيدة بالشخصيات، فهي من أهم وأبرز العلاقات المتشكلة في العمل السردي كون الشخصية تلعب دورا هاما في الحيز المكاني الذي يمثل الإطار الحركي لأفعال الشخصيات، حيث ارتباط وثيق بين المكان والشخصية في رواية المتسامح.

إن الوصف نمط من أنماط النص الأدبي، فهو يلعب دورا هاما في الحكي، لذا فالكاتب أو الروائي يستخدمه لاستحضار صورة أو رسم لوحة فنية لتقريبها إلى ذهن القارئ هذه وظيفة من وظائف الوصف التي تجلت في الرواية المتسامح حيث قربت لنا الأوصاف الأماكن ودلالتها ومكانتها وعلاقتها بالشخصية.

1 رواية المتسامح، ص 289.

2 المصدر نفسه، ص 290.

خاتمة

وختاما وبعد رحلتنا البحثية مع المكان وجمالياته في الرواية استنتجنا ما يلي:

1. المكان لا يشكل الوعاء القصصي والروائي فحسب إنّما يؤدي دوره في بناء الخطاب القصصي، إذ للمكان دور كبير في النصوص السردية، لا تقل أهمية عن الزمان والشخصيات وباقي العناصر السردية.
2. يكتسب المكان فى الرواية أهمية كبيرة، لا لأنه أحد عناصرها الفنية، أو لأنه المكان الذى تجرى فيه الحوادث، وتتحرك خلاله الشخصيات فحسب، بل لأنه يتحول فى بعض الأعمال المتميزة إلى فضاء يحتوى كل العناصر الروائية، بما فيها من حوادث وشخصيات، وما بينها من علاقات.
3. إن المكان يمنح المناخ الذى تتفاعل فيه المكونات السردية، وتعبر عن وجهة نظرها ويكون هو نفسه المساعد على تطوير بناء الرواية، والحامل لرؤية البطل، والممثل لمنظور المؤلف، وبهذه الحالة لا يكون المكان كقطعة القماش بالنسبة إلى اللوحة، بل يكون الفضاء الذى تصنعه اللوحة.
4. المكان فى الرواية عنصراً فاعلاً، فى تطورها، وبنائها، وفى طبيعة الشخصيات التى تتفاعل معه، وفى علاقات بعضها ببعضها الآخر.
5. رصدنا في رواية المتسامح مظهران للمكان ؛ الأول المظهر الجغرافي المباشر، الذي رصد المكان بشكل تقليدي واضح، ورصد جزئياته بوصف الجبل والطريق والبيت والمدينة مركز الأيتام، وغير ذلك، و الثاني المظهر الخلفي غير المباشر للمكان، حيث يتم تمثل المكان بواسطة كثير من الأدوات اللغوية ذات الدلالة غير التقليدية، مثل سافر، خرج،.....
6. تراوحت التشكيلات المكانية في رواية المتسامح بين الأماكن المغلقة والأماكن المفتوحة التي كانت مسرحا وفضاء تتحرك فيه الشخصيات.
7. لاحظنا أن هناك ارتباط وثيق بين الشخصيات والأماكن المختلفة في الرواية لاسيما شخصية الأمير في الرواية، الذي كان له ارتباط شديد بعديد الأماكن التي شكلت

وكونت شخصيته، نخص الحديث بالدرجة الأولى القرية، ثم المزبلة ثم مركز الأيتام جبل تمدة.

8. ابرزت هذه الأماكن الأربع جوانب مختلفة من حياة الأمير، وكيف أثرت في نشأته و تطور ونمو الشخصية مرحلة بمرحلة .
9. شكل المكان وبقية العناصر أو المكونات السردية الأخرى لحمة واحدة حيث لاحظنا أن هناك الانسجام والتفاعل بين مكونات البنية السردية من سرد و حوار وزمان والأحداث ومكان.

قائمة المصادر والمراجع

❖ القرآن الكريم برواية ورش

أولا: المصادر:

1. بلحيا الطاهر، رواية المتسامح، دار القدس العربي، وهران- الجزائر، ط1، 2009.
2. ابن منظور، لسان العرب ، مادة (بنى)، دار صادر ، بيروت، د ط، ج 14، د ت.

ثانيا: المراجع

أ/ المراجع بالعربية:

1. إبراهيم نبيلة، فن القص في النظرية والتطبيق، مكتبة غريب، مصر، د.ت.
2. باختين ميخائيل، أشكال الزمان والمكان في الرواية، ترجمة: يوسف خلاق، وزارة الثقافة، دمشق، 1990.
3. جنداري إبراهيم، الفضاء الروائي عند جبرا إبراهيم، دار الشؤون الثقافية العامة، ط1، 2001م.
4. حسن البحراوي، بنية الشكل الروائي الفضاء الزمن الشخصية، المركز الثقافي العربي، ط1 .
5. بن سيده المرسي، المحكم والمحيط الأعظم، تحق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط1، 2000م، ج7.
6. حميد الحمداني، بنية النص السردي من منظور النقد العربي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1991.
7. زكرياء إبراهيم، مشكلات فلسفية مشكلة البنية أو أضواء على البنيوية، مكتبة مصر، دط، 2005.
8. سيزا قاسم، بناء الرواية(دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ) ، مكتبة الأسرة، مهرجان القراءة للجميع 2004م.
9. سعيد يقطين، الرواية والتراث السردي "من أجل وعي جديد بالتراث"، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1992.

10.قال الروائي البنيات الحكائية في سيرة الشعبية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1997.

11.السيد، حسن سعد، الاغتراب في الدراما المصرية المعاصرة بين النظرية والتطبيق (1960-1969) الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط1، 1986.

12.الشريف جبيلة، مكونات الخطاب السردي، مفاهيم نظرية، عامل الكتب الحديث أربد، ط1، 2014.

13. شاهين أسماء، جماليات المكان في روايات جبرا إبراهيم جبرا، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، 2001.

14.صلاح فضل، نظرية البنائية في النقد الأدبي، دار الشروق، ط1، 1998.

15.علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني، تحق: محمد صديق المنشاوي/ دار الفضيلة.

16.فاروق أحمد سليم، الانتماء في الشعر الجاهلي، اتحاد الكتاب العرب.

17.عبد مالك مرتاض، في نظرية الرواية (بحث في تقنيات السرد ، عالم المعرفة سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة و الفنون والأدب، الكويت 1998.

18.محبوبة محمدي محمد أبادي، جماليات المكان في قصص سعيد حورانية، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة ، دمشق، 2011.

19.الزَّبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحق: جماعة من المختصين، إصدار وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت - المجلس الوطني للثقافة ، الكويت، 2001م، ج 37.

20. مراد وهبة:" المعجم الفلسفي معجم المصطلحات الفلسفية"، دار قباء للنشر و التوزيع، 1998.

21.مصطفى حسيبة : "المعجم الفلسفي أول معجم شامل بكل المصطلحات الفلسفية المتداولة في العالم و تعريفاتها"، دار أسامة للنشر و التوزيع، الأردن، عمان، ط1 ،2009.

22.ياسين النصير، الرواية والمكان الموسوعة الصغيرة، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد.

ب/ المراجع المترجمة:

23.جيرالد برنس، المصطلح السردي، تر عابد خزندار، تقد: محمد بريري، المجلس الأعلى للثقافة، ط1 ،2003.

24.جان بياجيه، البنيوية، تر: عارف منيمنة، بشير أوبري، منشورات عويدات، بيروت-باريس، ط4، 1985.

25.غاستون باشلار، جماليات المكان، ترجمة غالب هلسا، المؤسسة الجامعية ، ط 2، 1984.

26.ويليك رينيه، وأوستين وارين،نظرية الأدب، تر: محيي الدين صبحي، المجلس الأعلى لرعاية العلوم والفنون والآداب، دمشق، 1972

ثالثا: المجلات والدوريات:

27. خليفي سعيد، البنية السردية بين المفهوم النظري والإجراء النقدي، المركز الجامعي غليزان.

28.علي أحمد عمران، البنية السردية في رواية" دعاء الكروان لطه حسين، المجلة الجزائرية للدراسات الإنسانية، المجلد02، العدد 02، ديسمبر 2020.

29.حافظ، صبري، الحداثة والتجسيد المكاني، مجلة فصول، ع 4، 1984.

30.الحساسية الجديدة واستخدامات المكان، الأقلام،ع 11-12، 1986.

رابعا: الرسائل الجامعية والأطروحات:

31.عوجاج فاطمة الزهراء، المكان ودلالته في الرواية المغاربية المعاصرة، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراة في الأدب العربي، إشراف الأستاذ عقاق قادة، جامعة سيدي بلعباس، 2017/ 2018.

32.كريمة سمار، تجليات المكان في رواية أشباح المدينة المقتولة لبشير مفتي، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر، جامعة لعربي بن لمهيدي أم البواقي، 2013- 2014م

33.هاجر جعو، دنيا طرباق، البنية المكانية في رواية رياح القدر لمولود بن زادى، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر، جامعة العربي بن لمهيدي ام البواقي، 2017/2016.

خامسا: المقالات والدراسات:

34.محاضرة، الفلسفة البنيوية المفهوم والنشأة، جامعة محمد لامين دباغين، سطيف، Monday 13 February 2017، https://cte.univ-setif2.dz/. اطلع عليه بتاريخ 03/05/2023 الساعة 11:30.

35. شرحبيل المحاسنة، المكان الروائي ودلالته، رابطة أدباء الشام، http://www.odabasham.net/ اطلع عليه بتاريخ: 05/05/2023. الساعة 12:00.

36.https://www.startimes.com اطلع عليه بتاريخ 10/05/2023. الساعة: 16:00.

الملاحق

ملخص الرواية

أثرى مؤخرا الكاتب الجزائري الدكتور بلحيا الطاهر من جامعة وهران، المكتبة الجزائرية بروايتين جديدتين صدرتا عن دار القدس العربي للنشر والتوزيع، وهما "سلاطين الرمل " و"المتسامح"، جسّد فيهما الأسلوب الجديد في الرواية الحديثة.

يتمحور مضمون الروايتين الجديدتين، حول قضايا وأحداث تتعلق بواقع الشعب الجزائري في حقبتين زمنيتين مختلفتين ومتباعدتين، رغم أن الكاتب يرى أن الرواية الثانية "المتسامح" التي يصور فيها واقعا حديثا وآنيا مرتبطا بالمأساة الوطنية، هي تابعة من حيث المغزى لـ"سلاطين الرمل ."

وعن فحوى المولودين الأدبيين الجديدين، فإن رواية "سلاطين الرمل" عبارة عن نص أدبي منجز بلغة شعرية، يحاكي مشاهد عجائبية من بطولات حرب التحرير الجزائرية بقرية "عسلة" التابعة حاليا لولاية النعامة، حيث تحاول الرواية التأريخ لبطولات الرجال الأحرار الذين يتعلقون بأوطانهم .والنص في حد ذاته ينقل أحداثا بطولية خارقة وقّعتها قبيلة "أولاد سيدي أحمد المجدوب" من نفس المنطقة

. والجديد في السرد المنتظم هو مزج ما هو أسطوري بالواقعي، والحقيقي بالمتخيَّل، علما بأن هناك أساطير أوردها الكاتب شبيهة بالحقائق.

أما "المتسامح"، فهي عبارة عن سيرة ذاتية متخيلة، ومذكرات لأحد الإرهابيين التائبين الذين تأثروا بدعوة رئيس البلاد، فيما تعلق بتطبيق قانون السلم والمصالحة الوطنية. وأشارت الرواية إلى كيفية تغيير مسار الأمة بعد تجسيد فكرة الرئيس.

ما يلاحظ أثناء قراءة الروايتين، أن مؤلفهما كتبهما بأسلوب جديد كشف عن مدى تأثره بروائيين غربيين على غرار "ألان روب غريي"، و"ناتالي ساروت"، الفرنسيان اللذان ساهما في نشر القالب الروائي الجديد الذي عرف بـ"الرواية الدورانية" التي يرجع فيها الكاتب في النهاية إلى نقطة البداية.

ولوحظ أيضا أن المؤلف الدكتور بلحيا الطاهر اعتمد في أسلوب السرد على ضمير "الأنا"، وهذا ما فسره هو نفسه "أنه يدخل في إطار السرد الذي يعتمد على "الفلاش باك" كي يحكي ما وقع بالصورة التي تشوق القارئ وتجعله يتخيل الأحداث وكأنها تجري أمام عينيه ." وبهذا الإنجاز الأدبي الشاهد على ميلاد "سلاطين الرمل" و"المتسامح"، يكون الكاتب بلحيا الطاهر دعم رصيده الإبداعي والأدبي الذي يحوي في ثناياه مجموعة قصصية جمعها في "الفيضان"، بالإضافة إلى دراسات أدبية مثل "تأملات في إليادة الجزائر لمفدي زكرياء" و"التراث الشعبي في الرواية الجزائرية[1]."

هذا الكتاب عبارة عن نص روائي وكأنه سيرة ذاتية متخيلة، ومذكرات لأحد الإرهابيين التائبين الذين تأثرو ا بدعوة البلاد، النص الروائي يقوم على محور فكر ((المصالحة الوطنية)) وما قام به المتسامح الذي هو رئيس الأمة وكيف استطاعت أن تغير مسار لأمة ذاهبة إلى تدمير نفسها، فبسبب ((المصالحة الوطنية)) عاد الأمير عديم الاسم إلى مجتمعه ليستقبله هذا المجتمع ويفتح له ذراعيه بعد أن كان يرى بأن أشرف مهمة يقوم بها ذبح عناصر أمته ليستبدلهم بعناصر من مجتمعات أخرى، هي فكرة التحول والتغير خلال الأزمة.[2]

[1] https://www.startimes.com اطلع عليه بتاريخ 10/05/2023. الساعة: 16:00.

2 رواية المتسامح/ صفحة الغلاف.

ملخص البحث

ملخص البحث:

عنوان المذكرة: البنية المكانية في رواية المتسامح للكاتب بلحيا الطاهر

اللقب: الأكحل الاسم: حنان المؤطر: عثماني بولرباح

الملخص: تعرفنا في هذا البحث على ماهية البنية المكانية وخصائصها في رواية المتسامح للكاتب بلحيا الطاهر، أين تراوحت الأماكن في الرواية بين المفتوحة والمغلقة، كما لاحظنا أن المكان في الرواية له ارتباط وثيق بالمكان والشخصيات الفاعلة والثانوية على حد السواء وبين المكان وباقي المكونات السردية.

إن رواية رواية المتسامح للكاتب بلحيا الطاهر تتحدث عن مرحلة من مراحل تاريخ الجزائر فترة التسعينات إذ تعبر عن واقع العشرية السوداء ، موضحة الأسباب المؤدية إلى ذلك المسار الذي قد لا يكون بإرادة الانسان وإنما الظروف هي التي ينحو ذلك النحو هذا ما رأيناه مع شخصية الأمير.

الكلمات المفتاحية:

البنية، المكان، رواية المتسامح، التشكيلات المكانية، المكان و الوصف.

The title of the memo: The spatial structure in the tolerant novel by the writer Belhia Tahir.

Nom : Hannan **prénom** Elakhal **encadré:** Atmani Bourbah

Summary: In this research, we learned about what the spatial structure is and its characteristics in the tolerant novel of the writer Balha Tahir, where the places in the novel ranged from open to closed, and we also observed that the place in the novel has a close connection with the place and characters, both active and secondary, and with the place and other narrative components..

The account of the tolerant novel by the writer Belhia Tahir speaks of a stage in Algeria's history during the 1990s, expressing the reality of the Black Decade, explaining the reasons for that path, which may not be the will of man, but the circumstances that tend to be the same as we have seen with the Prince's personality

.**Keywords**: Structure, place, tolerant novel, spatial formations, place and description.

فهرس

المحتويات

فهرس المحتويات:

إهداء	//
شكر	//
مقدمة	أ- ج
المدخل: في المفاهيم	24-5
أولا: مفهوم البنية	10 -5
ثانيا: مفهوم المكان	17-10
ثالثا: المكان في النقد العربي والغربي	22-17
رابعا: أهمية المكان	24-22
الفصل الأول: التشكيلات المكانية في رواية المتسامح	52 -26
تمهيد	26
1- التشكيلات المكانية	27 -26
أ- الأماكن المغلقة	42 -27
ب- الأماكن المفتوحة	52 -43
خلاصة الفصل	52
الفصل الثاني: علاقة المكان بالمكونات السردية	74-54
تمهيد	54
1- علاقة المكان بالمكونات السردية	56-54
2- علاقة المكان بالشخصيات	68-56
3- المكان والوصف	74-69
خلاصة الفصل	74
الخاتمة	77-76
قائمة المراجع	82-79
ملخص الرواية	85-84
فهرس المحتويات	87
ملخص البحث	88